

فِيلهلم رايس

# الماديّة الجدلية والتخليل النفسي

ترجمة  
بو علي ياسين



المادِيَّةُ الْجَدْلِيَّةُ  
وَالْجَلْبُ الْفَضْلِيُّ

مَارِكُوْن  
لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرِ وَالتَّوزِيعِ ش.م.م.  
لبنان، بيروت ص.ب. ١٦٥٢٣٦

الطبع: الثاني:

١٩٨٢

فيلم رايس

المادِيَّةُ الْجَدَلِيَّةُ  
وَالْخَلِيلُ النَّفْسِيُّ



ترجمة  
بوعلي ياسين

العنوان الاصلي للكتاب :

WILHELM REICH

DIALEKTISCHER MATERIALISMUS  
UND PSYCHOANALYSE

تتضمن هذه الدراسة المقدمة والالفصل الثلاثة الاولى من الكتاب . وقد صدرت الطبعة الاولى في عام ١٩٢٩ . وفي عام ١٩٣٤ صدرت الطبعة الثانية مع بعض التعديلات التي وضعها الكاتب بصيغة حواشي . أما الفصل الرابع من الكتاب فهو في الاصل مقالة نشرت في عام ١٩٢٤ ، وتمتير مكملة لموضوع الدراسة .

( المترجم )

## تعريف بالكاتب

ولد فيلهلم رايش عام ١٨٩٧ في دوبرتشنيكا / غاليزيا . درس الطب ، واهتم بالبيولوجيا وعلم النفس . انضم في عام ١٩٢٠ إلى جمعية التحليل النفسي في فيينا ، وفي عام ١٩٢٧ إلى الحزب الشيوعي . أشرف في عام ١٩٢٨ على الجمعية الاشتراكية للاستشارات والابحاث الجنسية في فيينا . في عام ١٩٣٠ اضطر لمغادرة فيينا الى برلين ، وأسس في عام ١٩٣١ منظمة السيسكسبول من أجل الاصلاح التربوي والجنسى في صفوف الطبقة العاملة . مع صعود النازية اضطر للهجرة في عام ١٩٣٣ الى الدانمارك والسويد والنرويج ، ثم الى الولايات المتحدة منذ ١٩٣٩ . ونتيجة خلافات مع الكومنترين والماركسية النمساوية والحزب الشيوعي الالماني طرد من الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٤ . وفي نفس العام فضل من الرابطة العالمية للتحليل النفسي بسبب آرائه الشيوعية . بعد لجوئه الى الولايات المتحدة تفرغ لابحاث « طاقة الورغون » حتى وفاته في عام ١٩٥٧ .

كان رايش ماركسيا ومحللا نفسيا ومناضلا سياسيا في آن واحد . أسس ما يسمى بـ « الاقتصاد الجنسي » ، حيث وحد بشكل خلاق بين ماركس وفرويد . وهذا ما أثار ريبة الشيوعيين والمحللين النفسيين على حد سواء ، فطرده كلا الفريقيين من بين صفوفه . وقد كان لهذا المفرد المزدوج ، الى جانب النفي المتلاحق ، آثرا مدمرا على نفسيته . فانتهى وهو معتقل في مصح عقلي في

- بنسلفانيا بعد أن منعت جميع كتبه في الولايات المتحدة .
  - عربت لرايشه حتى الآن المؤلفات التالية :
  - الثورة والثورة الجنسية ، محمد عيتاني ، دار المودة ، بيروت . ١٩٧٢
  - ما الوعي الظبيقي ؟ ، جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت . ١٩٧٤
  - استمع إليها الصغير ، أسامة حامد ، دار ابن رشد ، بيروت . ١٩٧٧
  - سيكولوجيا الجماهير في الفاشية ، سيصدر عن دار ابن رشد عام ١٩٨٠ .
  - المادية الجدلية والتحليل النفسي .
- وtheses كتاب عن حياة وأعمال رايشه ، تأليف ج.م. باليه ،  
ترجمة سناء نجم ، صدر عن دار القدس ، بيروت ١٩٧٤ ، بعنوان  
« ويلهم رايشه - النظرية الفرويدية الماركسية » . وكتاب عن  
« اليسار الفرويدي » ومنه رايشه ، صدر عن دار الطليعة .

ب. ياسين

اللاذقية ٢٣ / ١٩٨٠

## مقدمة

مهمة هذه الدراسة هي أن تبحث ، ما إذا كان للتحليل النفسي لدى فرويد علاقة بالمادية الجدلية لدى ماركس وإنجلز ، والى أي مدى . جوابنا على هذه المسألة سوف يحسم ، ما إذا كانت هناك أرضية لمناقشة علاقة التحليل النفسي بالشورة البروليتارية والصراع الطبقي . إننا نجد في الأدبيات القليل من المساهمات في موضوع « التحليل النفسي والاشراكية » ، وهذه تعاني من أن مناقشاتها تفتقد إلى الاطلاع الكافي ، أما في التحليل النفسي أو في الماركسيّة ، على الجانب الماركسي كان نقد تطبيق معارف التحليل النفسي على علم المجتمع مقاً إلى حد معين . والمساهمات القليلة من قبل المحللين <sup>أ: فسبيين</sup> في هذا الموضوع افتقرت إلى الاطلاع الكافي على المسائل الأساسية للمادية الجدلية ، بالإضافة إلى أنها أهملت تماماً المسألة المركزية في علم الاجتماع لدى ماركس ، وهي : الصراع الطبقي . بذلك لم تكن هذه المساهمات صالحة بالنسبة لعلماء الاجتماع الماركسيين ، كما أنه بالنسبة للمحلل النفسي لا معنى لمعالجة مضلات نفسانية لا تراعي حقائق التطور الجنسي الطفولي ، والكتب الجنسي والعيبة النفسية اللاشعورية ، والمقاومة الجنسية .

وأسوأ الأمثلة على ذلك نجده في مؤلف كولناري « التحليل

النفسي وعلم الاجتماع « ١ ) ». وقد حط هذا الكاتب ، الذي لم يكن في يوم من الايام حقيقة محللا ، في هذه الاثناء عند شيلر ، بعد أن أعلن رسميا تبرؤه من علم النفس ، ولكن للافس ليس قبل تبرير هجائيته حول علم الاجتماع ، لأن علم النفس - كما قال - لم يعد يطابق وجهات نظره . . . مؤلفه يغضن بشرورات خاطئة ، ميتافيزيكية ومثالية للحقائق المكتشفة من قبل علم النفس . وسوف نغض النظر عنه في مناقشتنا . وقد أخطأ يورينتس ، الذي اتخذ من مؤلف كولناي منطلقا لنقد علم النفس ، عندما اعتبر كولناي هذا « واحدا من تلامذة فرويد الاكثر تحمسا » ٢ ) .

ونحن لن نستطيع هنا ، أن نناقش باسهاب مؤلف يورينتس ، إلا أنه علينا أن نستبق القول ، ان النقد الراهن للتخليل النفسي من قبل منظريين ماركسيين محق في نقطتين :

١ - حملنا يغادر المرء العقل الاصلبي للتخليل النفسي وخصوصا عندما يحاول تطبيقه على مشكلات المجتمع ، فان التخليل النفسي سرعان ما يتمدد الى نظرة الى العالم . عندئذ ، باعتباره نظرة نفسانية الى العالم تدعو لسلطة المقل ، يجاهد التخليل النفسي النظرة الماركسية الى العالم ، مع الادعاء انه بالتنظيم المقللي للعلاقات البشرية يستطيع أن يهبي وجودا اجتماعيا أفضل عبر التربية على التحكم الوعي بالد الواقع . هذه المقلانية الطوباوية ، والتي تفصح فوق ذلك عن تصور فرداني للحدث الاجتماعي ، ليست أصيلة ولا ثورية ، وتتخبط دون شك صلاحيات التخليل النفسي . فالتحليل النفسي هو بالتحديد ، حسب تعريف مبدعه ، طريقة نفسانية تحاول بوسائل العلم الطبيعي وصف وتفسير الحياة

(١) دار النشر العالمية للتخليل النفسي ، ١٩٢٢ .

(٢) التخليل النفسي والماركسية ، في : تحت لواء الماركسية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، من ٩٣ .

النفسية باعتبارها ميداناً خاصاً من ميادين الطبيعة . وبما أن التحليل النفسي ليس نظرة إلى العالم ولا يستطيع أن يطور مثل هذه النظرة ، لذلك لا يستطيع أن يجعل محل التصور المادي للتاريخ ، كما لا يستطيع أن يكمله . إنـه كعلم طبيعي مختلف عن تصور ماركس للتاريخ<sup>(٣)</sup> .

٢ - الموضوع الأصلي للتحليل النفسي هو الحياة النفسية للإنسان المجمعن★) . أما الحياة النفسية للجمهور فلا تدخل في نطاق بحثه ، إلا بقدر ما تتجلّى الفظواهر الفردية في الجمهور (مثل مشكلة الرعيم) ، وكذلك بقدر ما يستطيع التحليل النفسي توضيح مظاهر « النفس الجماهيرية » اعتماداً على خبراته المكتسبة على مستوى الفرد ، مثل الخوف والذعر والطاعة وغيرها . إلا أنه يبدو ، كما لو أن التحليل النفسي بالكاد يستطيع الخوض في ظاهرة الوعي الطبيعي . ولا يمكن لمشكلات مثل الحركة الجماهيرية والسياسية والاضرابات ، التي تخص علم الاجتماع ، أن تكون مواضيع لطريقته . فهو لا يستطيع أذن أن يجعل علم

(٣) (١٩٣٤) هذا لا يعني بأية حال أنه لا يمكن انطلاقاً من المعارف التحليلية استخلاص نتائج اجتماعية . وبما أن كل علم يتأتي عن موقف علني من مسائل الوجود ، مثلاً يتأتي التحليل النفسي عن مسألة فهم وشفاء الامراض النفسية ، فإنه في أساس كل علم ضرورات عملية ، إن الباحث الطبيعي يمكن أن يقدم أشنع الاعمال دون أن يتوصّل إلى تبعات تتعلق بالنظرية إلى العالم . لكن العادة أن تثار بحثاً ، عندما تناقض نظرته إلى العالم ، المكتسبة من مجالات أخرى ، بحثاً . وإذا ما وضع الآخرين الذين يدور نشاطهم في مجال مماثلي عن استخلاص نتائج عقائدية من علمه ، فإنه يقع في تنازع مع نفسه ، وهذا مصير لم يرحم الإكابر بين بناهتنا . أذن لم يكن واجب فرويد ، باعتباره عالم طبيعة ، أن يستخلص من علمه نتائج اجتماعية . هذا الفعل يبقى محجوراً لعالم الاجتماع . ومن المبدئي أن هذا التفريغ بين البحث وبياته هو من خصوصيات المجتمع البرجوازي وسوف ينتهي في الاشتراكية .

\* ) الإنسان المجمعن : الإنسان الذي صار اجتماعياً - المترجم .

الاجتماع ، كما لا يمكن ان يتطور من ذاته علم اجتماع . لكن بالتأكيد يمكن للتحليل النفسي ان يكون علما مساعدا لعلم الاجتماع في صيغة علم النفس الاجتماعي . انه يستطيع ان يكشف عن الدوافع الاعقلانية التي تحرك شخصا زعيما بطبيعته لان يلتحق بالحركات الاشتراكية او القومية ، دون غيرها<sup>(٤)</sup> . كذلك يستطيع التحليل النفسي ان يتقصى منفوع الاديولجيات الاجتماعية على التطور النفسي للفرد<sup>(٥)</sup> اذن فالنقد الماركسيون محقون ، عندما يتهمون العديد من ممثلي التحليل النفسي بأنهم يحاولون تفسير ما لا يمكن تفسيره بهذا النهج . لكن هؤلاء النقاد غير محقين عندما يماهون النهج مع اولئك الذين يطبقونه ، وينسون الاخطاء التي يرتكبها ممثلو التحليل النفسي اولئك الى المنهج المذكور .

هاتان النقطتان اللتان عالجناهما آنفا ينقلاننا الى تفريق ضروري لم يبرز دائمًا بوضوح في الادبيات الماركسيّة، الى التفريق بين الماركسية بقدر ما هي علم اجتماع ، اذن علم ، والماركسية بقدر ما هي طريقة بحث ، وبقدر ما هي ممارسة عقائدية

(٤) قارن ا. كوهن : لأسال الزعيم ، دار النشر العالمية للتحليل النفسي ، ١٩٢٦ .

(٥) (١٩٣٤) هذه الصياغات هوجمت باقصى العنف من قبل علماء الاجتماع التحليليين النسائيين . انظر بهذا الصدد مقالتي « حول تطبيق التحليل النفسي في الابحاث التاريخية » ، مجلة علم النفس السياسي والاقتصاد الجنسي ، العدد الاول ، ١٩٢٤ . وحول سائلة تطبيق المعرف التحليلية النفسية في قضايا الصراع الطبقي ، قارن المؤلف الصادر عن دائرة ارنست باريل (\*) « ما هو الصراع الطبقي؟ » ، دار النشر سينك بول ، ١٩٣٤ .

(\*) ارنست باريل هو اسم مستعار لفيلهلم رايش نفسه . وقد ترجم الكتاب الى العربية - المترجم .

للبروليتاريا )٦ . علم الاجتماع الماركسي هو نتاج لتطبيق الطريقة الماركسية على صعيد الواقع الاجتماعي . وباعتبار التحليل النفسي علما فهو مساو لعلم الاجتماع لدى ماركس . ذلك يتناول ظواهر النفسية وهذا ظواهر الاجتماعية . فقط يقدر ما تكون الواقع الاجتماعية موضوعة للبحث في الحياة النفسية ، أو بالعكس يقدر ما تكون الواقع النفسية موضوعة للبحث في الواقع الاجتماعي ، فانهما يسلكان تجاه بعضهما مسلك العلم المساعد . فعلم الاجتماع لا يستطيع اذن تفسير ظاهرات عصبية أو الخلل في القدرة على العمل أو الغلل في القدرة الجنسية . أما بالنسبة للمادية الجدلية فالوضع مختلف . هنا لا يوجد سوى امكانيتين : اما ان التحليل النفسي كمنهج ينافق المادية الجدلية ، لكونه مثاليًا أو لا جدلياً ، أو انه يمكن اثبات ان التحليل النفسي – ولو بصورة غير واعية – مثل كثير من العلوم يطبق في ميدانه حقيقة الجدل المادي ويطور بناء عليه نظرياته بخصوص الطريقة ليس للتحليل النفسي الا احدى الحالتين : اما ان ينافق الماركسية او يتافق معها . في الحالة الاولى ، اي عندما لا تكون نتائجه مادوية جدلية ، يتوجب على الماركسي ان يرفضه . لكن في الحالة الاخرى يكون الماركسي قد علم انه امام علم لا ينافق الاشتراكية )٧( )٨ .

(٦) بالطبع لا يمكن عمليا التفريق بين المنهج والمعلم ، فهما متشابكان في بعضهما . قارن « حول تطبيق التحليل النفسي ... » .

(٧) حول مفهوم العلم البروليتاري والعلم البرجوازي قارن : فيتوغل ، « العلم في المجتمع البرجوازي » ، دار ماليك للنشر .

(٨) (١٩٣٤) وعندئذ ليس من الواجب الاعتراف به فحسب ، بل ادراجه في بناء النظرية المادية الجدلية الى العالم . ولن يكون هذا دون تأثير على ما سبق من التصورات والنظريات . ولقد شدد ماركس وانجلز دائمًا على ان كل



هناك مأخذان من الجانب الماركسي على التحليل النفسي كنظام علمي يستحق الاندراج في الاشتراكية :

- ١ - التحليل النفسي هو ظاهرة انحلال للبورجوازية الآفلة .  
هذا المأخذ يسفصع عن قطع في التفكير الجدللي تجاه التحليل النفسي . ألم يكن علم الاجتماع الماركسي أيضا « ظاهرة انحلال للبورجوازية »؟ لقد كان علم الاجتماع الماركسي « ظاهرة انحلال » من حيث أنه ما كان له قط أن ينشأ ، لولا التناقض بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج الرأسمالية . الا انه كان معرفة وبالتالي في نفس الوقت رشيميا اديولوجيا للنظام الاقتصادي الجديد ، الذي ينمو في حضن النظام القديم . وسوف تعالج فيما بعد المكانة السوسيولوجية للتحليل النفسي ، أما هذا المأخذ فندفعه على أفضل وجه بعبارات الماركسي فيتفوغل ٩ )

»»»  
اكتشاف علمي طبيعي جديد سوف يغير من صورة العالم لدى المادية الجدلية ويدفعها الى الامام . وعندما يعارض ماركسيون ضيقوا الفرق ادراج علوم جديدة ، فاינם يفعلون ذلك مقاً لاقتناعهم القائم بالمحافظة على الماركسية « نقية » ، لكنهم يقتربون خطأ شنيعاً يتمثل بالخلط بين النظرة الى العالم والطريقة المادية الجدلية مع نظرية الواقع الماركسي ، فالنظرية الى العالم والمنهج اكثراً شمولية وعمومية وديمومة من النظرية الماركسيّة ، التي تخضع مثل أي تكوين نظري للتحول . فنظريّة عن الطبقة الوسطى مثلاً ، موضّعة عام ١٨٤٩ ، لا يمكن أن تصح دون شرط على الطبقة الوسطى عام ١٩٢٤ . الا أن طريقة الوصول الى استنتاجات صحيحة حول الطبقة الوسطى ، وقذاك والآن ، تبقى هي نفسها .  
طريقة البحث هي دائماً هم من النظرية المبنية .

٩) المصدر السابق ، ص ١٨ .  
- بعض القادة الماركسيين - « محظمو الاصنام » يستسلّمون كثيراً الحكم على العلم القائم حالياً . انهم يتمتعون بحركة موجزة : « علم بورجوازي » ، وبذلك يرون انفسهم قد قدموا كل المعرفة وحسموا المشكلة . طريقة كهذه ( الطريقة الاستئتمة ) تعمل بسلاح البرابرة . وليس لها من ماركس ونمط تفكيره الجدللي - للأسف - اكثر من الاسم . فالجدللي يعلم أن الثقاقة ليست وحدانية

« «

٢ - التحليل النفسي هو علم مثالي . لو كان هؤلاء النقاد بعض الشيء أكثر اطلاعا ، لصانوا أنفسهم من هذا الحكم . ولو وجد بعض الموضوعية تجاه التحليل النفسي . لما امكن النسيان ، ان كل علم ، مهما كانت أساسه مادية ، ينال عليه ان يتنال في المجتمع البورجوازي الغرافي المثالى . وفي التنظير ، الذي لا يتعد سوى خطوة واحدة عن التجربة ، نستطيع ان نتفهم الانحراف المثالى فلا نحكم من خلاله على الطبيعة الحقيقية للعلم . لقد بذل يورينتس الكثير من الجهد لالقاء الانحرافات المثالية في التحليل النفسي . بالتأكيد . هناك مثل هذه الانحرافات ، وحتى بعد كبير ، لكن السؤال هو ، مسافة بصدر مكونات النظرية ، وهي المفاهيم الاساسية للواقع النفسي .

غالبا ما يذكر التحليل النفسي في سياق النقاش حول الاتجاهات الاصلاحية في السياسة ( تالهaimer ، ديبورين ) . ان معنى هذا الربط هو ان الفلسفة الاصلاحية يرغبون بالاستشهاد بالتحليل النفسي ، بل ان دومان أوقع بالفعل بصورة رجعية بين التحليل النفسي والماركسي . لكنني أزعم - وأستطيع هنا ان استشهد بماركسيين يساريين - ، ان المرء يستطيع ايضا ان اراد ، ان يوقع بطريقة رجعية بين « ماركسية » وماركسية . لكن عارفا حقيقة بالتحليل النفسي لن يخطر على باله أبدا ، أن يربط « التحليل النفسي » لدومان بالتحليل النفسي لفرويد ، كما فعل ديبورين (١) . فما علاقة اشتراكية النزعة العاطفية لدى دومان

ممثل مكيال من البازلاء ، إنما لكل نظام اجتماعي تناقضاته ، حيث تنهى نقاط انطلاق لحقب اجتماعية جديدة . اذن ، بالنسبة للجذلي ليس قطعا كل ما هو في العصر البورجوازي من أصل بورجوازي متدني القيمة لا يمكن استخدامه في المجتمع المستقبلي .

(١) ديبورين : هجوم جديد على الماركسية ، في : تحت لواء الماركسية ، السنة الثانية ، العدد ٢/١ .

بنظرية اللييدو ، وان كان هو يستشهد بالتحليل النفسي الذي لم يفهمه قط ؟ وسوف أبين في الفصل الثالث ، كيف ان التحليل النفسي يجري له بين يدي االاصلاحين (١١) كما يجري للماركسيّة الحياة ، بالتحديد تسطيح وتمييع .

وفيما يلي سوف نعالج بالتسلسل المسائل الآتية :

- ١ – الارضية المادية لنظرية التحليل النفسي .
- ٢ – الجدل في الحياة النفسية .
- ٣ – المكانة الاجتماعية للتحليل النفسي .

---

.....  
١١) (١٩٣٤) والاقتصاديين .

## المعارف المادية للتحليل النفسي وبعض الشروط المثالية

قبل ان نبين التقدم الكبير الذي يعنىه التحليل النفسي بالنسبة للاتجاه المادي بالمقارنة مع علم النفس الذي سبقه والذي كان على الغالب مثاليا وشكلاً ، علينا ان نحدد التخوم التي تفصلنا عن فهم نفسي « مادي » مغلوط كثير الالتباس أيضاً في الاوساط الماركسية . انها المادية الميكانيكية ، كما تبناها الماديون الفرنسيون في القرن الثامن عشر ، وكما تبناها بوشنر ، والتي تجد استمراراً لها في الماركسية الدارجة (١٢) . تزعم هذه المادية

(١٢) لقد كانت مادية القرن الماضي على الاغلب ميكانيكية ، لانه من بين جميع العلوم الطبيعية لم يكتن نوعاً ما . آنذاك سوى الميكانيك . فالكميات وجدت في هيئتها الطفولية اللغوية المطبوخة . والبيولوجيا كانت ما تزال في الانقطاع . المضوية النباتية والحيوانية لم تسكن للتبحث الا بتجاهله وتفسر بأسباب ميكانيكية بحثة . فالانسان كان بالنسبة لماديي القرن الثامن عشر ، مثل الحيوان بالنسبة لدبكارت ، مجرد آلية . هذا الاقصرار على تطبيق الميكانيك على وقائع من طبيعة كيماوية وغضوية مثل محدودية معبرة عن المادية الكلاسية الفرنسية ، لكنها محدودية لا مفر منها في زمانها . ولا شك أن القوانين البيكانيكية يسري مفعولها على الواقع الكيماوي والعصري ، الا ان هناك قوانين أعلى تزيحها إلى الخلف . انجلز « لودفيغ فوبرياخ ونهاية الفلسفة ←»

ان الطواهر النفسية بذاتها ليست مادية ، وان المادي الملتزم لا يرى في النفس غير عمليات جسدية . فهواء الماديون يبدو لهم مفهوم «النفس» مغالطة مثالية وثنائية ، وهذا بلا شك رد فعل متطرف على المثالية الأفلاطونية الممتدة في الفلسفة البورجوازية .  
يزعمون . ليست النفس هي الحقيقية والمادي ، بل الجسم ، اذن ليست المعطيات الذاتية . بل الموضوعية القابلة للقياس والوزن .  
والمغالطة الميكانيكية تكمن هنا في أنهم يماهون بين ما هو مادي يقاس ويوزن أو يلمس ، وما هو مادي على الاطلاق .

يقول ماركس (١٢) : « ان العيب الرئيسي للمادية السابقة كلها ... هو ان تصور الشيء . الواقع ، العالم العصي لا يتم فيها الا على صورة الموضوع أو الروية ، وليس كفعالية بشريّة حسية ، كممارسة . ليس بصورة ذاتية . لذلك حدث ان الجانب الفاعل ، على التقىض من المادية ، قد تطور بالمثلية ، ولكن مجردا ، لأن المثلية طبعا لا تعرف الفعالية الواقعية الحسية بصفتها هذه . ان فويرباخ يريد مواضع حسية ، مختلفة فعلا عن المواضع الفكرية ، لكنه لا يعتبر الفعالية البشرية بالذات فعالية متموّضة » .  
فماركس يعتبر مسألة التموضع ، أي مسألة الواقع المادي

#  
الكلاسيكية الالمانية ، (الطبعة العربية ، دار التقدم - موسكو ، مختارات ، الجزء الرابع ، ص ٢٧ . روجعت الترجمة على النص الاصلي . - المترجم ) .  
(١٩٢٤) في هذه الاشارة توصل الاقتصاد الجنسي بصورة أكثر عبانة الى تمهيد الطريق لحل بعض المسائل الاساسية حول الطبيعة المادية لما هو نفسي ، لكن دون أن يصل بعد الى نتائج عملية واضحة . قارن بهذا الصدد « التقىض الاولى للحياة النباتية » ، دار النشر سينكلس بول ١٩٢٤ ، حيث أحساول تبيان التناهي والتعاكس الوظيفي النفسي - الفيزيائي .  
(١٣) الايديولوجيا الالمانية . (الطبعة العربية ، ترجمة فؤاد أيوب ، دار مشق ١٩٧٦ ، ص ٦٥١ . روجعت الترجمة على النص الاصلي . - المترجم) .

للفعالية النفسية » للتفكير البشري ». مسألة سكولاستية خالصة. عندما يعزلها المرء عن الممارسة . ولكن : « ان المذهب المادي القائل ، ان البشر نتاجات الظروف والتربية ، واذن الاناس المتغيرون هم نتاجات ظروف أخرى وتربية مختلفة . ينسى ان البشر هم الذين يغيرون الظروف وان المربى نفسه يجب ان يتربى » (١٤) .

اذن، لا يمكن الحديث عن نكران ماركس للواقع المادي للفعالية النفسية . ولكن ، اذا اعترف المرء بأن ظواهر النفس البشرية هي عملياً مادية ، عندئذ على المرء أيضاً ان يسلم من حيث المبدأ بامكانية علم نفس مادي ، حتى اذا لم يفسر هذه الفعالية النفسية بعمليات عضوية . واذا لم يكن المرء من هذا الرأي ، فعندئذ لا تكون هناك أرضية لنقاش ماركسي حول طريقة نفسانية خالصة . على انه من المنطقي عندئذ أنه لا يجوز للمرء ان يتعدّث عن الوعي الطبقي ، الارادة الثورية ، الاديولوجيا الدينية ٠٠٠ الخ ، بدل عليه ان ينتظر حتى تضع الكيماء العمليات الجسمية المقابلة في صيغ كيميائية او حتى تكشف الفلكسولوجيا المنعكستات المقابلة . وبما ان علم نفس كهذا سوف يفرق بالضرورة في شكلانية سببية ولن يغوص الى المحتوى العلمي للتصورات والمشاعر ، فهو آئنذ لن يزيد قيداً أشملة فيما لاماهية اللذة او ماهية الالم او الوعي . لهذا الاعتبار فإنه لا معيد عن علم نفس في إطار الماركسية ، يتناول ظواهر النفسية بطريقة نفسانية ، لا بطريقة عضوية .

طبعاً لا يمكنني من أجل تسمية علم نفس أنه مادي ، ان ببحث في المعطيات المادية للنفس . إنما عليه ان يتخد موقفاً واضحاً من مسألة ، ما اذا كان سينظر الى الفعالية النفسية باعتبارها

(١٤) نفس المصدر ، الطبعة العربية : جن ٦٥١ .

متافيزيكية ، اي معطية خارجة عما هو عضوي ، او أنها وظيفة ثانوية ، متطورة عما هو عضوي ومرتبطة بوجوده<sup>١٥</sup> . وحسبما يرى انجلز<sup>١٦</sup> تختلف المادية والمثالية عن بعضهما بأن هذه تعتبر « الروح » وتلك تعتبر « المادة » (العضوية) اي الطبيعة هي الاصل ، ويشدد انجلز على ان المفهومين لا يستعملان في أي معنى آخر . وقد أقام لينين تفريقا آخر في « المادية والنقدية التجريبية »<sup>١٧</sup> بخصوص موضوع أبحاثه النقدية المعرفية ،

(١٥) هذه الصياغة تتفق مع المعرفة التحليلية النفسية للزمن الذي كتبت فيه هذه الدراسة . وقد امكن من بعد التبشير عن فحوى ذلك بصورة ادق: لقد اكتشف التحليل النفسي بادئ الامر القراءين التي تسم خصوصية الحياة، كالاسقاط مثلا . وقد اعتبر فرويد ، أن ما هو نفسي يقوم على ما هو عضوي ، لكن دون أن يستخرج القانونية النفسية من القانونية العضوية . والاقتصاد الجنسي ، الذي عليه أن يتناول جذريا السيرورة الجنسية في جميع دائرتها: النفسية مثل الفيزيائية ، البيولوجية مثل الاجتماعية ، اذا أراد أن يصل إلى نظام علمي صحيح ، يجب أن يقف في اثر القانون الجنسي الاساسي في جميع داراته . بهذا الشكل يجد نفسه أمام المهمة الصعبة بأن يشق الدلالات الجنسية النفسية من الدلالات الجنسية البيولوجية . اذ ذلك تساعده الطريقة الجدلية، التي يستخدمها بوعي . وبصورة أساسية يلزم القول : ان ما هو نفسي قد نجم بلا شك عما هو عضوي ، ويجب لذلك أن يظهر نفس القراءين . الا أنه في نفس الوقت يواجه ما هو عضوي كنفيض أيضا ، ويطور في ذاته هذه قانونية مختصرة به خاصة له وحده . ولا يمكن أن تكون مهمة التحليل النفسي غير البحث في الدالة الاخيرة . وقد انجزت هذه الدالة بأغليها . ويتضرر ، أن يتمكن الاقتصاد الجنسي جذريا من حل مسألة الشروط الوظيفية الجنسية – النفسية . وما إذا كان سيعت肯 فعلا من ذلك ، فهذا يتعلق بطريق ما زالت غير قابلة للضبط . انظر « النفيض الاول للحياة الميتانية » ، في : مجلة علم النفس السياسي . العدد ٢-٤ . ١٩٣٤ .

(١٦) انجلز ، لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية (المطبعة العربية، ص ٢٢) .

(١٧) لينين ، الاعمال الكاملة ، المجلد ١٢ ، دار نشر الادب والسياسة . ١٩٢٧ .

بالتحديد الموقف من مسألة نظرية المعرفة : ما اذا كان العالم واقعيا يقوم خارج تفكيرنا ومستقلأ عنه ( مادية ) أم أنه يتواجد فقط في رأسنا كتخيل ، احساس وادراك ( مثالية ) . وثمة اختلاف ثالث مرتبط بالاختلاف المذكور أولا ، وهو ، ما اذا كان المعرفة يرى ان الجسم يصيغ النفس أم بالعكس .

بدلا من أن نجيب بصورة عامة على هذه المسائل بالنسبة للتحليل النفسي ، نبدأ بعرض النظريات التي تقوم عليها . ان الحكم ، ما اذا كانت الواقع التي يستند اليها التحليل النفسي صحيحة أم خاطئة ، لا يمكن أبدا ان يتم بنقد منهجي ، بل فقط بنقد تجرببي . وقد أخطأ الماركسي تالهايمر ( ١٨ ) فانتقد تجربتيما النظرية التحليلية النفسية وعارض نتائج بعثها دون ان يكون على اطلاع كاف في هذا المجال . في حين ان يورينتس قدم فقط نقدا منهجيا دون ان يكون هو الآخر على اطلاع كاف على التجربة التحليلية . واننا لن نحاول هنا البرهان على النظريات التحليلية النفسية ، فالمشروع بذلك يتتجاوز اطار هذه الدراسة ، بالإضافة الى انه لن يكون مثمرة . فليس ثمة من براهين الا بالخبرة التجريبية الخاصة .

### آ - نظرية الدافع التحليلية النفسية

ان مقالة النظرية التحليلية النفسية هي نظرية الدافع ، وأفضل قطعها تدعينا هي على وجه التحديد نظرية اللييدو ، نظرية ديناميك الدافع الجنسي ( ١٩ ) .

( ١٨ ) ( ١٩٢٤ ) انحلال الاوسترو ماركسيه ، تحت لواء الماركسية ، السنة الاولى ، العدد ٣ ، ص ٥١٧ – ٥١٨ .

( ١٩ ) ( ١٩٢٤ ) التحقيق المادي الجدلی والمتابعة التجريبية السريرية (\*) لنظرية الدافع الفرويدية اعطي فيما لديناميك الدافع طوز المفاهيم الفرويدية



الدافع هو « مفهوم حدي بين ما هو نفسي وما هو جسدي » .  
 ويعرف فرويد ٢٠) الليبido ، بأنه طاقة الدافع الجنسي . منبع  
 هذا الليبido ، كما يرى فرويد ، عملية كيمياوية ، غير معروفة  
 تماماً بعد ، في العضوية وخاصة في الجهاز الجنسي وفي مناطق  
 الاثارة الجنسية ، وهي أجزاء من الجسم قابلة بشكل خاص للاثارة  
 الجنسية ، وأمكنة تركيز للاثارة الجنسية الجسمية ٢١) . وفوق  
 هذه المنابع للاثارة الجنسية يشمخ البناء الفوقي الجبار لوظائف  
 الليبido النفسية ، الذي يبقى مرتبطاً بأساسه ، يتغير مع هذا  
 الأساس - كمياً وكيفياً على حد سواء - كما في المراحل ،  
 ويببدأ مع هذا الأساس بالانطفاء ، كما بعد سن اليأس النسوی .  
 وينعكس الليبido شعورياً كاندفاعة جسمی ونفسی نحو الارضام  
 الجنسي ، هذا يعني استرخاء مفعم باللذة . وقد عبر فرويد عن  
 أمله في أن التحليل النفسي سوف يوضع في يوم من الأيام على

»»»  
 الاصلية ببعض النتائج المرضية نوعاً ما . ( انظر : « تحليل الطياع » ، الفصل  
 الأخير ، دار نشر سيسكس بول ، ١٩٣٢ ) .

(\*) سريرية : كلينيكية - المترجم .

٢٠) ثلاثة دراسات في النظرية الجنسية ، كتابات مجتمعة ، المجلد ٧ : دار  
 النشر العالمية للتحليل النفسي .

٢١) (١٩٣٤) ملاحظات سريرية مستجدة عدلت في سياق ابحاث  
 الفيزيولوجيا العضوية الحديثة ، هذا المفهوم لصالح المفهوم الآخر ، وهو أن  
 الامر يتعلق بعمليات شق وتغريغ الكتروفيزيولوجية ضمن العضوية . قارن  
 حول ذلك « العضوية كتغريغ الكتروفيزيولوجي » . مجلة علم النفس السياسي ،  
 العدد الاول ، ١٩٣٤ . والموضع المستند الى ابحاث فرانتس كراوس في  
 « النقىض الاولى ... » . وما تسمى الماقدية الجنسية (\*\*) لا تبدو اكثراً من  
 وظيفة للطاقوية (\*\*\*) العضوية الاعم . الا ان الموضوع هنا ما زال في غالبه  
 في عتمة عميقة .

Cheminism	(**)
Energetik	(***)

- المترجم .  
 - المترجم .

قاعدته العضوية . ويلعب مفهوم التفاعل الجنسي في نظريته عن الليبido كتصور مساعد دورا أساسيا ، الا ان التحليل النفسي لا يستطيع من حيث المنهج أن يتتصدى للوقائع الملموسة في العضوية، فهذا يبقى من اختصاص الفيزيولوجيا (٢٢) . ان الطبيعة المادية لمفهوم الليبido لدى فرويد تتجلّى في ان نظريته في الحياة الجنسية الطفولية قد أكّدتها بعدئذ الفيزيولوجيون ، حيث وجدوا عند المولود حديثاً تطوراً للجهاز الجنسي العضوي .

لقد أبطل فرويد الرأي القائل : ان الدافع الجنسي يستفيق في المراهقة ، وبين أن الليبido يمرّ منذ الولادة بمراحل تطور معينة، قبل أن يصل إلى حالة الجنس التناسلي . فوسع مفهوم الحياة الجنسية ليضم جميع وظائف اللذة ، التي لا ترتبط بالأعضاء التناسلية ، والتي هي دون أي لبس من طبيعة جنسية ، مثل اللذذة الفمي ★) ، اللذذة الاستي ★) إلى آخره . هذه الاشكال ما قبل التناسلية ، الطفولية للتحقق الجنسي تخضع فيما بعد للارلوية التناسلية ، سلطة الجهاز الجنسي الصميمي .

وكل مرحلة من مراحل تطور الليبido ( وسوف نتحدث فيما بعد عن طبيعتها الجدلية ) تنطبع بظروف عيش الطفل ، كما تكون مثلاً المرحلة الفمية بتناول الأغذية ، والمرحلة الاستية بوظائف التبرز وبالتربيبة على الطهيرية . وقد كان العلم المأسور بالأخلاق البورجوازية قد تجاهل ببساطة هذه العقيقة وأكّد على الفهم الشعبي لـ « طهارة » الطفل . فالكلبت الجنسي من قبل المجتمع كان معيقاً للأبحاث في هذا المجال .

كان فرويد يفرق من بين الدوافع مجموعتين نفسانيتين

(٢٢) (١٩٣٤) انظر تصحيح هذا الفهم في الحاشية رقم ١٥ .

Analerotik (\*) — المترجم .

Munderotik (\*\*) — المترجم .

رئيسيتين ، غير قابلتين للتجزيء أبعد من ذلك ، وهم دافع البقاء والدافع الجنسي ، بالاستناد الى التفرق الشعبي ما بين الجوع والسبب . وجسم الدافع الاخرى ، حب السيطرة ، الطموح ، الشره للربح الى آخره ، يعتبرها فرويد تكوينات ثانوية ، تفرعات لهاتين الحاجتين الرئيسيتين . وبالنسبة لسيكولوجيا المجتمع سيكون لنظرية فرويد، بأن الدافع الجنسي يظهر في البدء استنادا الى الدافع للغذاء ، أهمية كبيرة ، فيما لو أمكن ايجاد صلة مع مقوله مشابهة لماركس ، بأن الحاجة الغذائية تمثل في الواقع الاجتماعي أيضا أرضية الوظائف الجنسية للمجتمع ٢٣ )

فيما بعد أقام فرويد مقابل الدافع الجنسي الدافع التهديمي، حيث ضم الدافع الغذائي الى الايروس كوظيفة للمصلحة بحب الذات (نرجسية – حفظ الذات ) ٢٤) . ولم تستخرج بعد بشكل واضح العلاقة ما بين هذا التقسيم الجديد للدافع والتقطيع السابق . وقد جرى تكوين المفاهيم المستجدة لنظرية الدافع : الايروس – دافع الموت ( الدافع الجنسي – الدافع التهديمي ) بالاستناد الى الوظيفتين الاساسيتين للمادة المضوية : الاستقلاب ( البناء ) والتحلل ( التهديم ) . فالايروس يضم كافة نزعات الكيان

---

(٢٤) (١٩٣٤) لقد تمكن الفكر الاقتصادي الجنسي ان يتبع سيره بضع خطوات في مسألة علاقة الحاجة الغذائية بالحاجة الجنسية . فالحاجة الغذائية توافق هيومطا في التوتر او في الطاقة ، لذلك لا يجري ارضاؤها الا بادخال الطاقة ، بينما الحاجة الجنسية يجري ارضاؤها باخراج الطاقة او تصريفها . هذا ما يفسر ان الجوع قد يشارك او يشارك فقط بصورة غير مباشرة في بناء الجهاز النفسي ، بينما الطاقة الجنسية هي القوة البناء اصلا ، الايجابية ، الانتاجية لها هو نفسى . ويجري الان تحضير لمعرض هذه المسألة بصورة مفصلة . ومن الواضح ، ان هذه الواقائع ذات اهمية حاسمة بالنسبة لمسألة الطبيعة الطاقوية للتقويم البنيري والأدبيولوجي .

(٢٤) « خارجا عن مبدأ اللذة » و « الاانا والهو » ، كتابات مجعة ، دار النشر التحليلية النفسية .

النفسي ، التي تبني ، تجمع ، تدفع الى الامام ، بينما الدافع التهديمي يضم النزوات التي تسهم ، تحطم ، تعيد الى الوضع الاصلبي . بذلك فان التطور النفسي يتاتى عن صراع بين هذين الميلين المتعاكسين ، مما يوافق فيما جدليا تماما للتطور ٢٥ ) .

الا ان المشكلة تتجلی فيما يلي : اذا كانت الارضية الجسمية للحاجات الجنسية والفنائية واضحة ، فان مفهوم دافع الموت تنصبه القاعدة المادية الواضحة ، ذلك لأن الرجوع الى العملية العضوية للتحليل يمثل مسبقا موازاة شكلية اکثر مما يمثل تضاربا بالضمون . فقط بقدر ما تكون هناك علاقة واقعية لدافع الموت مع عملية الهدم الذاتي للعضوية ، تكون هذه العلاقة مادية . الا ان المرء لا يستطيع الانكار ، ان المحتوى غير واضح لدافع الموت وكذلك عدم امكانية فهمه بهذا الالاوضوح ، كما مثلا اللييدو ، يجعل منه بسهولة وكرا لتأملات مثالية ومتافيزيكية حول الحياة النفسية . وهذا ما سمح في التحليل النفسي الى ظهور الكثير من سوء الفهم ، وقاد الى تنبيرات غائية ومباغفات للوظائف الاخلاقية ، الامر الذي نعتبره انعرافا مثاليا في التحليل النفسي . وكما صرخ فرويد نفسه ، فان « دافع الموت » هو فرضية خارجة عن نطاق البحث السرييري . فليس مصادفة ان تكون الرغبة كبيرة للبحث فيه ، وان يكون قد فتح الباب والشباب لتأملات غير ذات نفع . وكرد فعل على الاتجاه المثالي الذي نشأ مع فرضية الدافع المستجدة في التحليل النفسي قمت شخصيا بمحاولة لفهم ٢٦ )

(٢٤) (١٩٣٤) وجوب ان يصحح هذا الفهم . انظر الفصلين الاخرين في « تحليل الطياع » ، دار نشر سينكس بول ١٩٣٣ .  
(٢٥) رايسن : « وظيفة الانتباه » ، فصل حول تبعية دافع الهدم لاقتصاد اللييدو . دار النشر التحليلية النفسية ، ١٩٢٧ . كذلك دحض علم دافع الموت في « الطبع المازوخى » ، (« تحليل الطياع ») .  
(٢٦) يستخدم بعض المؤلفين تعابير « الحياة الغرائزية » . - المترجم .

الدافع التهديمي باعتباره متعلقاً بالليبido ، أي استيعابه من قبل نظرية الليبido المادية . و تستند هذه المحاولة على الملاحظة السريرية ، بأن استعداد انسان للكراهيّة و شعوره بالذنب يتبع على الاقل في شدته حالة الاقتصاد الليبيدوسي ، وبأن عدم الارضاء الجنسي يصعد من العدوائية والارضاء ينقص منها . حسب هذا الفهم يكون دافع الهم من الناحية النفسانية هو رد فعل على حرمان الدافع من الارضاء وأساسه الجسمي هو ازاحة الاثارة الليبيدوسيه الى النظام العضلي .

لا شك في ان دافع المدوان هو أيضاً أداة للدفاع الغذائي، وان الدافع العدواني يتضاعف عندما لا ترضي الحاجة الغذائية بشكل كاف . ان دافع التهديم هو – حسب رأيي – تكوين متاخر ثانوي للعضووية ، يتعدد من خلال الظروف التي يتم فيها ارضاً الدافع الغذائي وال الحاجة الجنسية .

ان المنظم للحياة الدوافعية ★) هو « مبدأ اللذة / اللا لذة » . كل ما هو دوافي ينزع الى اللذة و يريد تجنب اللا لذة . ولا يمكن ابطال التوتر العاجي المفعم باللا لذة الا بارضاء الحاجة . فهدف الدافع هو اذن ابطال التوتر الدوافي عبر ازالة المشير في منبع الدافع . وهذا الارضاء مفعم باللذة . ويشترط الثوران الجنسي في المنطقة التناسلية مثلاً المشير الذي يخلق حاجة ( دافعاً ) لازالة هذا التوتر . و يغلق التوتر العضوي في اعضاء التغذية الجوع ويدفع الى الأكل ( ٢٧ ) . هذه النّظرة السببية تعتمد النظرية الغائية ، ذلك لأن الهدف الذي يسعى اليه الدافع ، يتعدد عبر منبع الاثارة . هنا يقف التحليل النفسي كعلم مادي سببي مناقضاً تمام التناقض لعلم النفس الفرداني المتوجه غائياً فقط ، كما هو

.....  
• ( ٢٧ ) انظر الحاشية رقم ( ١٩٣٤ )

وبما أن كل شيء يجلب لذة يجذب وكل شيء يجعل لذة ينفر .  
فإن مبدأ اللذة يشترط حركة ، وخاصة الكيماوية الجنسية . • مثل  
لولب يتواتر الجهاز الغريزي متلهفا إلى أي ارضاء للحاجة دائما  
من جديد بعد فترة راحة . وتعتبر عمليات الاستقلاب هي أساس  
هذا التوتر ) ٢٨ ( .

بيد أن طريقة عمل هاتين الحاجتين الأساسيةتين للإنسان تتخذ  
المضمون لشكلها الأصلي بالاول عن طريق الواقع الاجتماعي  
للفرد ، حيث يقييد هذا الشكل من ارضاءات الدافع . ويجمل  
فرويد جميع التقييدات والاكراهات الاجتماعية من أجل تخفيف  
الاحتياجات او تأجيل ارضائها في صيغة « مبدأ الواقع » . واذن  
فهذا المبدأ يقف جزئيا على طرف تقىض من مبدأ اللذة ، بقدر ما يقتصر  
الفرد على ارضاءات بديلة او على تأجيل الارضاء . فالرضياع  
مثلاً يسمح له في ساعات معينة فحسب ان يتناول طعامه ، والبنت في  
سنوات البلوغ لا يسمح لها في المجتمع العائلي ان ترضي فوراً  
 حاجتها الجنسية . المصالح الاقتصادية ( والبورجوازي سيقول :  
الحضارية ) تفرض عليها ، ان تحفظ عفتها حتى الزواج ، اذا لم  
ترد المجازفة باحتراهما او تصعيب ايجاد زوج . وان ايقاف  
الارضاء التلذذى الاستى المباشر كما يحدث لدى الطفل ، هو كذلك  
الامر مفعول لمبدأ الواقع .

بيد ان تعريف مبدأ الواقع ، بأنه متطلب اجتماعي ، يبقى  
شكلاً ، اذا لم يشتمل هذا التعريف بشكل ملموس على ان مبدأ  
الواقع في حالته الراهنة هو مبدأ المجتمع الرأسمالي أو بالاحرى

• ) ١٩٢٤ ( انظر الحاشية رقم ٢١

مبدأ مجتمع الاقتصاد الفردي . وبالنسبة لهم مبدأ الواقع ثمة في التحليل النفسي وفرة من الانحرافات المثلية . وهكذا يعتبر مبدأ الواقع على النايل معلنة مطلقة . ويفهم التكيف مع الواقع على انه مجرد تكيف مع المجتمع ، وهذا ، كما هو مطبق في التربية والتطبيقات الصابي ، هو بلا شك صياغة محافظة . بشكل ملموس: مبدأ الواقع في العصر الرأسمالي يتطلب من البروليتاري أقصى التقييد لاحتياجاته ، ليس دون الرجوع الى الاوامر الدينية بالخضوع والتواضع . كما يتطلب شكل الزواج الاحادي للمارسة الجنسية ، وغير ذلك كثير . وكل هذا يعود الى العلاقات الاقتصادية ، فللطبقة السائدة مبدأ واحد للواقع ، وهو ما يغدو الحفاظ على سلطتها ، واذا ما رأى البروليتاري على مبدأ الواقع هذا ، ووضع امامه باعتباره صالحًا بصورة مطلقة ، باسم الخضارة مثلا ، فان هذا يعني القبول باستغلال البروليتاري، القبول بالمجتمع الرأسمالي . يجب ان يكون واضحا ، ان مفهوم مبدأ الواقع ، كما يفهم اليوم في التحليل النفسي من قبل الكثرين ، يتطابق ( وان لا شعوريا ) مع موقف محافظ ويقف لذلك على طرف نقين من الطابع الثوري موضوعيا للتحليل النفسي . وقد كان لمبدأ الواقع ضامين آخر في السابق وسوف يتتحول بقدر تغير النظام الاجتماعي .

ومن الطبيعي أيضا ان الضامين الملموسة لمبدأ اللستة ليست مطلقة ، فهي تتبدل أيضا مع الواقع الاجتماعي . فالارضاء الاستي مثلًا في عصر تعطى فيه المهراء اهتماما كبيرا ، كان حتما غير ما هو عليه في المجتمع البدائي، أي كان بالتحديد أقل مما في المجتمع البدائي وتبعا لذلك كان النزوح اليه أكبر ، الامر الذي ينعكس نوعيا بتكون شجاعيا معينة. يكفي ان يفكر المرء بالجمالية ★

Aesthetizismus

\*

المستندة على التسلذ الاستي واختلاف أهميتها في المسر  
البورجوازي عنها في المجتمع البدائي أو في القرون الوسطى .  
ومسألة ، على أي مضمون من مضمونين السعي إلى اللذة يجري  
التشديد أكثر وعلى أيها أقل ، يتعلق كذلك طبعاً بالطبقة التي  
ينتمي إليها الطفل . وهكذا تظهر على سبيل المثال النزوعات  
الاستيّة لدى البورجوازية أكثر بروزاً بكثير مما لدى  
البروليتاريا ، بينما بالعكس تكون الدافع المانع أشد لدى  
البروليتاريا . إلا أن هذا يرتبط أيضاً بالتربيّة وظروف السكن .  
من حيث الخلقة البيولوجية يبدو أن الفرق ليس كبيراً أو ليس  
هائماً . لكن الوسط الاجتماعي يبدأ منذ الولادة بتشكيل معنوي  
مبدأ اللذة . ومسألة ، ما إذا كان لاختلافات في ظروف التغذية  
تأثير على بنية الدافع حتى في حالة النطفة ، وتأثير على شدة  
ونوعية النزوعات ، هي مسألة الأبحاث المستقبلية (٢٩) .

### ب - نظرية اللاشعور والكبت

فرق فرويد بين ثلاثة أنساق في الجهاز النفسي :

١ - الوعي ★ ) ، وهو يضم وظيفة الادراك للجهاز الحسي

(٢٩) هذه التنبويات تحتاج إلى تفصيلات معقّدة . إن الطريقة والنطء اللتين يعيدهما النظام الاجتماعي انتاج نفسه في الإنسان ببنويا ، لا يمكن ادراكيهما عيانياً ونظرياً وعملياً الا عندما يسير المسرء بآبي طريقة تصبح المؤسسات الاجتماعية والادبيولوجيات وأشكال العيش الخ ببنية الدافع . ذلك ان تفكير أفراد الجماهير المتعلقة ببنية الدافع تحدد ثانية إعادة انتاج الادبيولوجيا الاجتماعية ، تحدد ارساءها النفسي ، تحدد باختصار المفصول العكسي للادبيولوجيا على البنية الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع ، على السلطة ، و « المعادات » ، الخ . وقد نوشّه هذا الموضوع في أمثلة تاريخية ملحوظة في « فرق الأخلاق الجنسية » ، دار نشر سكس بول ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٤ ، الطبعة الثانية ، وفي « سيكلولوجيا الجماهير في الفاشية » ، ١٩٣٤ ، الطبعة الثانية .

\* ) « الشعور » في بعض المراجع العربية - الترجم .

وجميع التصورات والمشاعر التي يعيها المرء في وقتها .

٢ - ما قبل الوعي ، ويضم جميع التصورات والماوقف التي في لعطلتها غير موعية ، لكنها يمكن ان تصبح موعية في اي وقت . وهذان النسقان كانوا معروفين تمام المعرفة من قبل علم النفس ما قبل التحليلي . وما يسميه باحثون غير تحليليين «لا شعور» «وعي جانبي» ، «عقل باطن» ، ينتمي تماما الى المذهب الفرويدي ا«ما قبل الوعي» . أما الاكتشاف الاصلي لفرويد فيتعلق بـ :

٣ - العقل الباطن ، الذي يتميز بأن مضمونه لا يمكن ان تصبح موعية (٣٠) ، لأن رقابة «ما قبل الوعي» تمنع عنها الوعي . هذه الرقابة ليست سحرية ، بل تضمن نواهي مأخوذة عن العالم الخارجي كما تضم مجالات أصبحت بذاتها لا شعورية .

واللا شعور لا يشمل الرغبات المكرورة والتصورات التي لا يمكن وعيها فحسب ، بل أيضا (محتملا) التمثالت الموروثة التي تطابقها الرموز . كذلك فإن اللا شعور يتحول مع الزمن ، كما تشير الخبرة السريرية ، بحيث ان اللا شعور يكسب مع تطور التقنية رموزا جديدة . وهكذا كان يعلم كثير من الرضى في زمن صرعة المنطاد بالملاحة الجوية كمروض لعضو الجنس الذكري . وبما انه في سياق الابحاث قد اتضح ، ان اللا شعور يتضمن الشيء الكثير زيادة على الشيء المكتوب الاصلي ، عسى فرويد

(٣٠) كم أساء يوريتنس فهم التحليل النفسي ، هذا ما يظهر في الجملة التالية في مؤلفه «التحليل النفسي والماركسية» «تحت رأية الماركسية» ، العدد الاول ، ص ٩٨ ) : «كيف يمكن للمرء ان يشير الى مضمون اللاشعور ، اذا كان غير قادر على تحليله ، اذا اللاشعور لا يصل ابدا الى ما بعد عتبة الوعي؟ » . سؤال ساذج حقا ! لقد اكتشف فرويد اللاشعور بطريقة التداعيات الحرة ، بنتها الرقابة ، ليس الا . والتقطيب التحليلي باكمته يقوم بالتحديد على جمل اللاشعور موعيا . وفي الظروف العادية فقط لا يمكن ذلك .

الغم على استكمال النظرية في بنية الجهاز النفسي . من ثم فرق بين الـ *الـ هو* والـ *انا* والـ *الـ العليا* .

الـ *هو* ليس شيئاً فوق الاحساس ، انتا هو عبارة عن الحصة البيولوجية للشخصية . جزء منه هو الـ *لاشعور* بالمعنى المذكور آنتا ، وهو المكبـوت اصلاً .

والآن ما هو الكـبت؟ انها العملية التي تجري بين الـ *انا* ونزعـات الـ *هو* . كل طفل يجلب معه الى العالم دوافع ، ويكتسب في طفولته رغبات لا يجوز له ان يعيشها ، لأن المجتمع الواسع والمجتمع الصـيق ، أي الاسرة ، لا يحتملـونها ( غشيان المـهـارـم ، الواطـ ، التـعـري ، السـادـيـةـ الخـ . ) فالواقع الاجتماعي يتطلب في هيئة المـربـي ، ان يكتبـ الطفل هذه الدوافع . والـ *طـفـلـ* ، الذي يملكـ أنا ضـعـيفـةـ فـحـسـبـ وـيـتـبعـ غالـباـ مـيـدـاـ اللـذـةـ ، لا يـتـيسـرـ لـهـ ذـلـكـ عـلـىـ الـاـغـلـبـ ! لاـ بـأـنـ يـنـفـيـ هـذـهـ الرـغـبـاتـ عـنـ عـيـهـ بـعـثـتـ لـاـ يـرـيدـ انـ يـعـرـفـ عـنـهـ شـيـئـاـ بـعـدـ . بـالـكـبـتـ تـصـبـحـ الرـغـبـاتـ الـمـعـنـيـةـ لـاـ شـعـورـيـةـ . وـثـمـ فـعـلـ آخـرـ اـجـتـمـاعـيـ هـامـ لـلـتـخـلـصـ مـنـ الرـغـبـاتـ غـيرـ الـمـلـبـأـ يـتـمـثـلـ بـالـتـصـمـيدـ الـذـيـ هوـ وـجـهـ آخـرـ لـلـكـبـتـ . هـذـاـ يـعـنيـ انـ الدـافـعـ بـدـلـاـ مـنـ انـ يـكـبـتـ يـعـرـيـ الـاقـتصـارـ عـلـىـ حـرـفـهـ إـلـىـ اـنـشـقـالـ مـمـكـنـ اـجـتـمـاعـيـاـ . ) ٣١ )

نـحنـ نـرـىـ اـذـنـ ، اـنـ التـحـلـيلـ النـفـسـيـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ مـطـلـقاـ اـنـ يـتـخـيلـ الـطـفـلـ دـوـنـ الـجـمـعـ ، فـلـاـ وـجـودـ لـلـطـفـلـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ الاـ كـائـنـ اـجـتـمـاعـيـ

---

( ٣١ ) لم يقم فرويد ابداً . كما يزعم بوريتنـس ، باستبدال نظرية الكـبـتـ بـنظـرـيـةـ «ـ الـاستـنـكـارـ » . لقد أساءـ فـهـ ما قـصـدهـ فـروـيدـ بـقولـهـ ، انـ الدـافـعـ ، اذاـ ماـ أـصـبـعـ بـالـتـحـلـيلـ مـوـعـيـاـ ، يـمـكـنـ اـنـ يـسـتـكـنـ مـنـ قـبـلـ الــاـنـاـ . فـالـاستـنـكـارـ هوـ نـقـيـضـ الـكـبـتـ . فـلـيـسـ صـحـيـحاـ ، «ـ انـ الـفـروـيدـيـنـ يـقـضـونـ اـكـثـرـ فـاكـثـرـ عـلـىـ نـظـرـيـتـهمـ فيـ الـلاـشـعـورـ » . كما كـتبـ بـوريـتنـسـ (ـ المـصـدرـ الـمـذـكـورـ ، صـ ١١٠ـ ) . وجـهـ نـظـرـ بـوريـتنـسـ هـذـهـ تـاتـتـ عـنـ التـشـوـيـشـ الـذـيـ خـلـقـتـ لـدـيهـ النـظـرـيـةـ الـمـسـتـجـدـةـ فيـ الــهـوـ وـالــاـنـاـ وـالــالــعـلـيـاـ . فـهـيـ لـبـسـتـ نـفـيـاـ لـنـظـرـيـةـ الـلاـشـعـورـ بـلـ تـخـضـمـنـهـاـ .

والواقع الاجتماعي يؤثر على الدوافع البدائية مقيداً ومعدلاً ومشجعاً دون توقف . اذ ذاك يتغذى الدافعان الاساسيان مسلكين مختلفين . فالجوع اكثر عناداً وصرامة ، وأشد العاجا على الارضاء الغوري من الدافع الجنسي . ولا يمكن كبت الجوع في اي حال من الاحوال مثل الدافع الجنسي اما الدافع الجنسي فهو قابل للتعديل ومطواع وقابل للتصعيد ، ويتمكن عكس ميله الجزئية الى ضدها . لكن دون امكان التنازل التام عن الارضاء . والطاقة التي تصرف في سبيل المنجزات الاجتماعية ، وكذلك المنجزات التي ترضي الدافع الجنسي ، تندحر من الليدو . انه القوة الدافعة للتطور النفسي ، لحظة ان يقع تحت تأثير المجتمع . ان محرك الكبت هو دافع حفظ الذات للانا . وهو يتتفوق على الدافع الجنسي ، ومن تناظرهما ينبع التطور النفسي ، والكبت هو ، فيما لو غض النظر عنه كأداة وعن مفاعيله ، مشكلة اجتماعية ، لأن مضامين واشكال الكبت تتعلق بالدافع الاجتماعي للفرد . وهذا الواقع الاجتماعي يتركز اديولوجيا في مجموعة التعليمات ، والاوامر والتواهي ، أي في الاناث المليا . وقسم كبير من هذه التعليمات والاوامر والتواهي بالذات هو لا شعوري .

يعيد التحليل النفسي كل الاخلاق في الانسان الى تأثيرات التربية ، هو يرفض اذن قبول الطابع الميتافيزيكي للأخلاق بالمعنى الكاتني مثلاً لمفهوم الاخلاق . انه يدرب مفهوم الاخلاق ماديّا ، بأن يعيده الى معايشات والى دافع حفظ الذات وكذلك الى التغوف من العقاب . وكل الاخلاق تنشأ في الطفل اما خوفاً من العقاب أو حباً بالمربيين . وعندما تحدث فرويد آخر الامر عن « اخلاق لا شعورية » و « شعور بالذنب لا شعوري » ، فإنه لا يعني بذلك غير انه مع الرغبات المتنوعة يجري أيضاً كبت بعض عناصر الشعور بالذنب ، مثل منع غشيان المحارم . وقد اساء يورينتس تماماً فهم مفهوم

الشعور بالذنب اللا شعوري ، عندما ظن انه هنا يعشمش افتراض فطرة اخلاقية بالاصل لانا بمعنى الذنب الميتافيزيكي . ربما يؤمن بعض المحللين ، استجابة لاي من الحاجات ، رغم التحليل النفسي الذي يمارسونه ، بما هو اخلاقي او الهي اصلا بالانسان . هذا غير موجود في نظرية التحليل النفسي ، بل تماما المكس هو الصحيح . ان التحليل النفسي يقضى نهايائنا ، علميا طبيعيا ، على هكذا اعتقاد ، وذلك بانتزاعه مناقشة الاخلاق من الفلسفة . ويترك لكل معلم بأن يسوى بنفسه مسألة كيف يمكنه ان يوفق بين الاعتقاد بأخلاق ميتافيزيكية وبالله وبين قناعاته التحليلية النفسية . ولدى المرء كل المبررات لان يقلق على التحليل النفسي ، عندما يبدأ بالتوافق مع نظرية ميتافيزيكية (٣٢) . فنظرية الشعور بالذنب اللا شعوري لا تلقى بأي حال اذن عرض العائط بنظرية اللا شعور ، كما يخشى يورينتس ، انما هي على النقيض من ذلك تعيد اكتساب الاخلاق أيضا الى ما هو مادي .

لقد بينا حتى الان ، ان الهو والانا العليا على حد سواء هما أبعد من ان يكونا ببنيانين ميتافيزيكين ، وأنهما من حيث المحتوى يرجعان الى الحاجات أو الى الاكتسابات الواقعية المتعددة من العالم

---

(٢٢) في هذه الاثناء تبين ان هذا القلق ، المعتبر عنده هنا ، قد كان تماما في محله . في الوقت الحاضر أصبحت حركة التحليل النفسي باكمالها في ازمة صعبة ، بتأثير عوامل من أهمها المرجعية السياسية التي تبنت منذ ذلك الوقت . ويمكن وصف هذه الازمة بأنها تعبير عن التناقض بين الرؤى الثورية لنظرية الجنس التحليلية النفسية والعقيدة البرجوازية الدينية الاخلاقية للكثير من كبار المحللين . ويبادرن الصراع النظري بين التوجه العلمي الطبيعي الماركسي للتحليل النفسي والبورجوازي المقاوني تتمثل من حيث الاساس في المسائل المتعلقة بمصدر الكبت الجنسي ودور الحياة الجنسية التناسلية في الصحة النفسية ووجود دافع تهديمي بيولوجي الاصل وكذلك مسائل تقنية علاجية .

الخارجي . وليس مفهوما بالنسبة لي على الاطلاق ، من أين جاء يورينتس بالاتهام ، انه « كما لدى شوبنور ، كذلك لدى فرويد ... العالم نتاج « الانا » الخاصة بهدف تنظيم دوافعنا » (٣٣) .

نقيس ذلك تماما عرضه فرويد في موضع لا حصر لها . وبالمناسبة فقد استشهد يورينتس نفسه بهذه الموضع . لقد عرض فرويد ان الانا هي نتيجة لتأثير العالم الخارجي الواقعي على بناء الدافع ، تنشأ كوقاية من الآثار . وحتى في مؤلف فرويد « خاجا عن مبدأ اللذة » ، الذي يعتمد يورينتس بصورة رئيسية في نقاده ، وهو مؤلف اجزافي عن قصد ، ليس هناك أي حديث عن خلق العالم الواقعي من قبل الانا . وقد اصطدم يورينتس بمفهوم « الاسقاط » ، الذي لا ينافق في ذلك المؤلف بصورة مفصلة ، وكان بامكانه ان يحصل على ايصال له في المؤلفات السريرية لفرويد . ان الانا تعتقد ، ان التصورات ، التي تكتبهما والتي تملكونها في ذاتها وتحس بضفتها ، هي في العالم الخارجي . هذا هو الاسقاط ، ولا شيء غير ذلك . وبالتحديد من خلال هذه النظرية المادية يمكن لفرويد ان يوضح مالية الهلوسة لدى المرضى المقلبين . فالاصوات ، التي يسمونها ، ليست في الواقع غير تأنيبات ضمير او رغبات لا شعورية ، لكنها ليست صادرة بالواقع عن العالم الخارجي . بتأكيد ، كان مؤلف « خارجا عن مبدأ اللذة » مساعد الهور مفاهيم خاطئة في التحليل النفسي . لكن فرويد نفسه صرخ في كتاباته وكذلك مرارا شفهيا ، بأن هذا المؤلف خارج عن التحليل النفسي السريي . والامر ، الذي يجعل منه مع ذلك نقطة انطلاق لاجتزاءات واهية تماما في فرضية دافع الموت ، هو كما يبدو نظرية الليبido المحرجة للايديولوجيا البورجوازية ، هذه

.....  
نفس المصدر ، من ١٠٢ (٣٣)

النظرية التي يستبدلها عن طيب خاطر بفرضية أقل خطورة .  
ان الطبيعة المادية للانا أمر لا يقبل الجدل ، ذلك لأنها متصلة  
بمنظومة الادراك لاعضاء العواس . بالإضافة الى ان الانا ، تبعا  
لفرود ، كما سبق الذكر ، مشتقة ، من تأثيرات المثيرات المادية  
على جهاز الدافع . وهي ، تبعا لفرود ، ليست غير جزء مخالف  
بشكل مخصوص للهو ، هي مصدر أو عضو وقاية بين الهو والعالم  
الواقعي . والانا ليست حرة في افعالها ، بل تابعة للهو والانا  
العليا ، أي تابعة لما هو بيولوجي واجتماعي . فالتحليل النفسي  
اذن ينكر حرية الارادة ، ونظرته تتفق مع نظرية انجلز : « حرية  
الارادة لا تعني غير القدرة على امكان التقرير مع الاطلاع على  
الامر » . فالاتفاق كامل لدرجة انه يجري التعبير عنه في المفهوم  
الاساسي للعلاج التحليلي للمصابين : يجب ان ينال المريض قدرة  
على اتخاذ القرار ، من خلال اخذه علما بما هو مكتوب لديه ، أي  
 يجعل اللاشعورى موعيا من قبله ، ذلك بالاطلاع على الامر أكثر  
ما كان له في حالة لا شعوره لنوازعه الاساسية . بالطبع هذا  
بعيد عن حرية الارادة ، كما يفهمها اليتافيزيكيون ، فهي محدودة  
بتطلبات الحاجات الطبيعية . لو أصبحت مثلا الرغبات الجنسية  
موعية ، لما استطاع المريض ان يقرر كيتها ثانية ، كما لا يمكنه  
ان يقرر زهدا متواصلا . الا انه يستطيع ان يأخذ على نفسه  
البقاء زاهدا لفترة طويلة . وتبقى الانا بعد التحليل الناجح ليست  
أقل تعلقا بالهو والمجتمع ، انما فقط اكثرا معرفة بتسوية  
النزاعات .

ينتتج عن ظروف نشرء الانا والانا العليا ، ان الانا تتضمن الى  
نصفها والانا العليا تتضمن بكاملها سائل الحياة الاجتماعية ،  
هذا فيما يتعلق بمعها الملموس . وتنتواب المتطلبات الدينية  
والأخلاقية مع النظام الاجتماعي . وتختلف الانا العليا لدى المرأة

في العصر العدري جذرياً عنها في النظام الاجتماعي الرأسمالي ، وبقدر ما يجري في النظام القائم التمهيد الايديولوجي للنظام الجديد ، تغير طبعاً محتويات الآتا العلياء . وهذا يشمل مثلاً الاخلاق الجنسية كما يتضمن اديولوجياً عدم المساس بالملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، ويتبادل بالطبع أيضاً حسب مكانة الفرد في عملية الانتاج .

ولكن ، باي طريقة تؤثر الايديولوجيا الاجتماعية على الفرد ؟ كان على نظرية ماركس الاجتماعية ان تدع هذه المسالة دون جواب باعتبارها خارجة عن نطاقها ، في حين يستطيع التحليل النفسي ان يجيب عليها : ان الاسرة المنشبة باديولوجيات المجتمع ، بل تماماً الرشيم الايديولوجي للمجتمع ، هي بالنسبة للطفل المثل المرحلي للمجتمع على الاطلاق ، وذلك قبل ان يدخل الطفل في عملية الانتاج الفعلية . ولا تتضمن العلاقة الاودية المواقف الدوافعية فحسب ، بل الشكل والطريقة التي يعيش بها الطفل عقدة أوديب ويتغلب عليها ، هي مشروطة بصورة غير مباشرة باديولوجيا الاجتماعية العامة وكذلك بمكانة الاهل في عملية الانتاج . اذن فمصارئ عقدة أوديب متعلقة في نهاية المطاف ، مثل كل شيء ، بالبنية الاقتصادية للمجتمع . بل اكثر من ذلك ، حتى حدوث عقدة أوديب من اساسها يعود للبنية الخاصة للاسرة المشروطة بالمجتمع . أما مسألة الطبيعة التاريخية ، ليس فقط لشكل عقدة أوديب ، بل أيضاً لوجودها ، فسوف تعالجها في الفصل التالي .

## الجدل فيما هو نفسي

الآن ننتقل الى مسألة ، ما اذا كانت المعرف المادية للتحليل النفسي قد كشفت أيضا عن الجدل في السيرونة النفسية . الا اننا نريد في البدء ان نعيد الى الذاكرة الاسس الرئيسية للطريقة الجدلية ، كما وضعها ماركس وانجلز وتابعها تلامذتها .

لقد ظهر الجدل المادي لدى ماركس كنقض للجدل المثالي لدى هيجل المؤسس الاصلي للطريقة الجدلية . في بينما رأى هيجل في جدل المفاهيم المحرك الاصلي للتطور التاريخي ورأى في العالم الواقعي مجرد صورة مرآة للافكار والمفاهيم التي تتبع تطورها بصورة جدلية ، قلب ماركس النظرة الى العالم بشكل مادي . هذا يعني انه وضع البناء الهيجملي « على قدميه » ، كما عبر ماركس نفسه ، بأن اعتبار الامور المادية هي الاصل وان الافكار تابعة لها . وفي حين انه أخذ عن هيجل النظرة الجدلية الى مجريات الامور ، فإنه تخلص في الوقت ذاته من المادوية الميتافيزيكية لدى هيجل ومن المادوية الميكانيكية لمادبي القرن الثامن عشر . أما المقولات الرئيسية للنحوية الجدلية فهي :

- ١ - الجدل ليس شكلًا للتفكير فحسب ، بل هو موجود في المادة بالاستقلال عن التفكير . هذا يعني ، ان حركة المادة جدلية موضوعيا . فالجدل المادي لا يضع اذن شيئا في المادة ، كما هو

فقط في ذهنه ، بل يدرك بصورة مباشرة بواسطة أعضاء العواصم لديه وبواسطة ذهنه ، الذي يخضع بذاته لقوانين الجدل ، الاحداث المادية للواقع الموضوعي . من الواضح ان هذا الموقف يقع على طرف نقىض من موقف كانت (٣٤) .

٢ - ان التطور ، ليس تسطور المجتمع فحسب بل أيضاً تطور الظواهر الطبيعية ، لا يتم كما يدعى أي نوع من الميتافيزيك ، سواء المثالي أو المادي ، انطلاقاً من « مبدأ التطور » او من « نزوع الى التطور كامن في الأشياء » ، بل يتم بسبب تناقض داخلي ، بسبب أضداد متواجدة في المادة ، وبسبب تنازع هذه الاضداد الذي لا يمكن ان يجعل في النمط القائم للوجود ، بحيث ان الاضداد تتجدد النمط القائم لوجود المادة وتخلق نمطاً جديداً تنشأ فيه من ثم اضداد جديدة وهلم جرا .

٣ - كل ما ينجم عنه تطور جدي هو موضوعياً ليس بالجيد ولا بالسيء ، إنما ضروري . ولكن ما كان في فترة تطور معينة في البدء دافعاً للتقدم ، يمكن ان يصبح فيما بعد مشيناً . وهكذا دعم نمط الانتاج الرأسمالي في البدء قوى الانتاج التقنية دعماً عظيماً ، لكنه أصبح فيما بعد عبر تناقضاته المتأصلة معيقاً لهذا التطور . والتحرر من هذه الاعاقة يجب نمط الانتاج الاشتراكي .

٤ - من خلال التطور الجدلي المذكور انطلاقاً من تنازع الاضداد لا يبقى شيء مستمراً ، كل ما ينجم عن هذا التطور يحمل بدوره رشيم الاول في نفسه . والطبقة التي تريد تدمير سلطتها ، لا تستطيع قبول النظرة البديلة ، والا فانها ستتحكم بذلك على نفسها بالموت . وتبعد ماركس طورت البورجوازية الرأسمالية في صعودها طبقة البروليتاريا التي تعني بعكم ظروف وجودها

(٣٤) انظر بهذا الصدد لينين : « المادية والنقدية التجريبية » ، دار نشر الادب والسياسة ، ١٩٢٧ .

سقوط البورجوازية . لذلك لا يمكن الا للطبقية البروليتارية ان تعرف بالجدل اعترافاً كاملاً وعملياً ، بينما يتوجب على البورجوازية ان تبقى بالضرورة غارقة في مثالبة مطلقة .

٥ - كل تطور هو تعبير عن / ونتيجة لتنفي مزدوج : نفي النفي . لايصح ذلك نستعين ثانية بمثال من التطور الاجتماعي . فالإنتاج السلمي كان نفياً للشيوعية الاولى ، حيث ساد انتاج القيم الاستعمالية لوحده . والنظام الاقتصادي الاشتراكي هو نفي للنبي الاول . فهو ينفي الانتاج السلمي ويصل هكذا لولبيا الى درجة أعلى من الایجاب لما نفي أولاً ، أي لانتاج القيم الاستعمالية ، للشيوعية (٣٥) .

(٣٥) (١٩٣٤) هذا يصح ايضاً ، كما جرى الاستدلال في الفترة النقضية بعد المبلعة الاولى ، على تطور الاشكال الجنسية والادبولوجيا الجنسية . في المجتمع الاولى ، الذي كان يدير اقتصاداً شبيهياً اولياً ، كانت الحياة الجنسية مقبلة ومرعية . مع التطور الى السلعة والاقتصاد الفردي انقلب في الوقت ذاته القبول الجنسي في المجتمع كما في البنية الانسانية الى نفي جنسي . وتبعاً لقانون التطور الجدلي ثمة افتراض ضروري وهو أن النبي الجنسي على مستوى أعلى سوف ينقلب مرة ثانية الى ايجاب جنسي وبنبوبي . ونحن نتوارد في الوقت الحاضر ، ليس فقط في تناقض بين الميل الى ازالة الاقتصاد المسلح والحفاظ عليه ، بل ايضاً في تنازع متزايد الحدة بين الميل الاجتماعي الى القمع الجنسي والميل المعارض لذلك لاحلال الاقتصاد الجنسي الطبيعي محل التقديس الاخلاقي والقمع . في الاتحاد السوفيتي ظهر في السنوات الاولى كلا الميلين المتزاعمين بوضوح . وعلى الصعيد الجنسي توقف الاثنان ثانية ، استتبعهما تراجع . اسباب هذا التراجع وماهيتها ما تزال بحاجة الى البحث . انتظر ، فرق الاخلاق الجنسية . ان نظرية اقتصاد الجنس الاجتماعي يجوز ان تفهم كعمرنة ذاتية ، كتوعية نظرية حول هذا التناقض الاجتماعي . وهذا لم يزل مجهولاً ، ليس بالنسبة للاتجاه القائد حالياً في الحركة البروليتارية فحسب ، بل حتى ان كثفه اثار هناك في دوائر متنفذة معارضة عنيفة . انتظر . تاريخ السياسة الجنسية ، مجلة علم النفس السياسي والاقتصاد الجنسي ، اعتباراً من العدد

٤/٢

٦ - النقائض ليست مطلقة ، بل تنفذ الى بعضها . الكم ينقلب عند نقطه معينة الى نوع . كل سبب لسفعول هو في آن واحد سفعول لهذا المفعول كسبب . وهذا ليس مجرد مفهوم متداول ظواهر منفصلة عن بعضها بصرامة ، بل نفاذ متداول ومفعول للواحد على الآخر . الى جانب ان عنصرا ما قد ينقلب الى عكسه في ظروف معينة )٣٦( .

٧ - في الحقيقة يجري التطور البديلي تدريجيا ، لكنه يصبح في بعض الموضع وثبيبا . الماء لا يصبح مع متابعة التبريد بصورة تدريجية جليدا ، وانما نوعية الماء تتحوال عند نقطه معينة فياء الى نوعية الجليد ، لكن هذا لا يعني ان التغيير الوثبي يتبع فجأة

(٣٦) (١٩٣٤) بالتحديد لدى الحركة الجماهيرية للفاشية يمكن ان نلمس هذا الفعل ليس اليد تقريبا . فالتمرد ضد رأسالي لجماهير الشعب الالانى ، التي تتناقض على اشد ما يكون التناقض مع الوظيفة الموضوعية للفاشية ، يتشابك مع هذه الوظيفة بحيث ينقلب التمرد نفسه لفترة من انزمن الى عكسه ، الى توطيد سلطة الراسمال الالانى .

وفي هذا الاطار سنوہ بمشكلة واحدة فقط ، سيجري في مكان آخر تناولها بالتفصيل . وهي ان السياسة الماركسية تقوم على استكشاف المسؤول المكتن للتطور ودعم جميع الاحداث التي تناسب الثورة الاجتماعية . وقيادة الكومنترن التي اتتنت على مصير الثورة العالمية ، انمستخ من حيث النظرية الى اقصاصادية ومتكلانية وصارت بذلك تتعرج وراء الاحداث . ولذلك لم تستطع ان تنجذ شيئا . غابت عن نظرها مثلا اليول الثورية في الحركة الجماهيرية الفاشية ولم تستطع لذلك ان تفعل شيئا . في الفاشية كانت وما تزال الميول الثورية والرجعية متحدة . في الجزرة الجماهيرية لقيادة الـ « س . آ . » في ٢٠ حزيران ١٩٣٤ افترق التقىضان ثانية عن بعضهما . وسوف نرى ، ما اذا كان هذا نهائيا . كل هذا كان من الممكن ان ينتمي به المرء كاماكنية . ولا يوجد سوى درب واحد الى ذلك ، وهو التعلم من التجربة . فاذا امكن في كل ظاهرة اجتماعية هامة رؤية التناقضات الداخلية في الوقت المناسب ، عندئذ يمكن الحساب مسبقا لاماكنيات التطور . انظر بهذا الصدد « سيكولوجيا الجماهير في الفاشية » ، (دار نشر سكس بول ، الطبعة الثانية ١٩٣٤ ) ، حيث تمت محاولة تحليل التناقضات الادبولوجية للفاشية .

من لا شيء ، بل انه يتطلور تدريجيا بصورة جدلية الى التغيير الوثبي . وهكذا يحل الجدل تضاد التطور / الثورة ، دون ان يلنيه . والتنبئ الاجتماعي لنظام المجتمع مثلاً يمهد له في البدء بالتطور ( جمعنة العمل ، تبييس الاكثرية ٠٠٠ الخ ) ثم يحدث ثوريا .

ولنحاول الان أن نثبت على بعض الواقعية الموجبة في النفس البشرية ، التي اظهرها التحليل ، السجل في هذه النفس الذي حسب زعمنا لم يكن ليبرى النور لو لا طريقة التحليل النفسي .

في البدء نذكر كمثال عن التطور الجدلية تكون الانعراض في الصاب ، كما فهمه أولاً فرويد ووضمه . بينما لفرويد تنشأ المارضة الصابية من خلال ان الآنا المكبلة اجتماعيا تصد انفعالا دافعيا ومن ثم تكتبه . الا ان كبت انفعال دوافي لوحده بعيد عن ان يكون عارضة . من الضروري لهذه النسخة ان يخرج الدافع المكبوت ثانية على السكت وان يظهر بشكل متصنع كمارضة . وتتضمن المارضة تبعاً لفرويد الانفعالات الدوافية المصوددة كما تتضمن المصودد نفسه . فالمارضة تحسب اذن حساباً لكلا الميلين المعارضين . والآن اين هو الجدل في تكون الانعراض ؟ . ان آنا الانسان المنوي تقع تحت ضغط « النزاع النفسي » . وهذه الحالة المفعمة بالتناقض ، من جانب متطلب الدافع ومن الجانب الآخر الواقع ، الذي يتمتع عن الارضاء او يقتضي منه ، يتطلب حلاً . لكن الآنا أضعف من ان تدعم الواقع ، وأضعف من ان تتحكم بالدافع . ضعف الآنا هذا ، الذي هو بدوره تبعة لتطور سابق ، والذي لا يمثل سوى مرحلة واحدة من تكون الانعراض ، هذا الضعف هو اذن الاطار الذي يجري فيه النزاع . وتم تسويته

بطريقة ان الانما تكتب الدافع )٣٧)، خدمة للامر الاجتماعي، وفي الواقع من أجل ان لا تندمر او تعاقب ، اذن بداع حفظ الذات . الكبت هو اذن تبعة تناقض لا يمكن حلّه في حالة الوعي . وصيغة الدافع لا شعوريا هي حل مرحلٍ للنزاع وان كان مرضيا .

الطور الثاني : بعد كبت الرغبة ، التي نفيت وقبلت في أن واحد من قبل الانما ، تغير الانما نفسها ، وعيها أصبح بجزء منه ( الدافع ) افقر وبجزء آخر ( هدوء عابر ) أغنى . الا ان الدافع لا يستطيع في حالة الكبت ، مثلما لا يستطيع في حالة الوعي ، ان يتنازل عن الارضاء . وعلى الارجح انه في حالة الكبت أقل استطاعة لذلك ، لانه الان ليس خاضعا ولا حتى لرقابة الوعي . فالكبت يدفع الى زواله الذاتي ، ذلك لان طاقة الدافع تتحقق نتيجة الكبت بقوة ، كي تخترق اخيرا الكبت . العملية الجديدة لاختراق الكبت هي نتيجة للتناقض : كبت / احتقان الدافع . كما ان الكبت نفسه كان تبعة للتناقض : رغبة الدافع / حرمان العالم الخارجي ( في ظرف : ضعف الانما ) . ليس هناك ، اذن ، « ميل » نحو تكون الاعراض ، انما يتأتى التطور ، كما رأينا ، عن تناقضات التنازع النفسي . ومع الكبت ينشأ أيضا ظرف اختراق هذا الكبت ، وهو احتقان طاقة الدافع غير الشبع . فهل جرى مع اختراق الكبت في الطور الثاني استعادة الوضع الاصلي ؟ نعم ولا . نعم ، الى العد

٣٧) غاب عن نظر مدرسة التحليل النفسي الانكلزية حقيقة ان « ضعف الانما » تعبير اصطلاحي نتيجة اعاقة الدافع . لو لم يكن هناك نزاع بين الانما والطلب الجنسي ، لامكن للانما ان تتاح الارضاء المناسب للك مرحلة من مراحل تطورها ، ولما كانت لتتفوّف من الدافع . غير ان هذا المضعف المحدث يتضمن اليه من قبل محللي المدرسة المذكورة . وكثيراً غيرتهم على انه ببولوجي المصدر . بينما بذلك من المفروض ان يكون الكبت الجنسي ضرورة ببولوجية .

الذي يسيطر فيه الدافع ثانية على الانا . ولا ، الى الحد الذي يتغير فيه الدافع بشكل متصنع في الوعي ، كمارضة . والمارضة تتضمن القديم ، أي الدافع ، كما تتضمن في ذات الوقت نقيضه ، وهو صدود الانا .

في الطور الثالث ( المارضة ) تكون اذن النقائض الاصلية متعددة متوحدة في عين الظاهرة الواحدة . وهذه بالذات هي نفي ( الاختراق ) النفي ( الكبت ) . لنتوقف هنا قليلاً في سبيل تبيان ذلك من خلال مثال ملموس أعطته تجربة التحليل النفسي .

لتأخذ حالة امرأة متزوجة تخاف من لصوص يداهمونها بالسلاكين . فهي لا تستطيع مثلاً ان تبقى وحدها في الغرفة وتتخمن وجود لص متواحش في كل مكان . تحليل هذه المرأة المتزوجة يأخذ المعنى أعلاه ما يلي :

### ١ - الطور الاول : نزاع نفسي وكبت

تعرفت هذه المرأة قبل زواجها على رجل كان يلاحظها بعمروضه ، التي كانت تود عن طيب خاطر ان تتجاوز معها ، لو لم تكن معاقة اخلاقياً ، وقد استطاعت تأجيل تسوية هذا النزاع عن طريق التعزى بالزواج فيما بعد . فتحول الرجل عنها ، وتزوجت هي برجل آخر دون ان تستطيع تسيير الرجل الاول . كان التفكير به يقللها باستمرار . وما قابلته ثانية ، وقفت من جديد في نزاع شديد بين توقيها اليه ونشدتها للاخلاص الزواجي . في هذه الظروف اصبح النزاع غير محتمل وغير قابل للحل ، توقيها للرجل الاول كان بمثابة اخلاقها . فبدأت بتعبئته ( صدود ) ، واخيراً نسيته ظاهرياً . الا انه لم يكن نسياناً حقيقياً ، بل مجرد كبت . لقد ظلت انها قد شفقت ولم تعد تفكر به في وعيها .

## ٢ – الطور الثاني : اختراق الكبت

بعد حين من الزمن تخاصمت مع زوجها خصاماً عنيناً ، لانه كان يغازل امرأة أخرى . وفي مجرى الخصم تفكرت في نفسها ، كما تبين بعد ذلك بكثير : « اذا كان يحق لك هذا ، فاني أكون غبية ، اذا لم أسمحه انا الاخرى لنفسي » . في تلك اللحظة كانت صورة المحبوب الاول ماثلة أمامها . بيد أن الفكرة كانت خطيرة ، فقد كان يمكننا ان تبعث ثانية النزاع القديم بأكمله . وهكذا لم تعد تشغله الفكرة في وعيها : لقد كبتتها من جديد . ولكن في الليل كانت تمثل حالة من الخوف ، وفجأة انتابها فكرة ان ثمة رجل غريب يتسلل نحو سريرها يقصد اغتصابها . لقد عاد الدافع فدخل الوعي بشكل متصنع ، بل حتى بشكل معاكس تماماً لما كان عليه . ففعل الرغبة بالرجل الغريب حل الخوف منه .

## ٣ – الطور الثالث : تعليل المارضة

هذا التصنع هو أساس تكون الاعراض . تو حللت الآن المارضة نفسها ، لرأينا في التصور الخيالي لدى المرأة المبنية ، ان « رجلاً غريباً يتسلل نحو سريرها » هو تحقيق الرغبة الكبوثة في في ارتكاب نقض الزواج ★ ) ( وقد بين التحليل في تفصياته أنها كانت دون علم منها تتخيّل محبوبها الاول : نفس الهيئة ولون الشعر الح .. ) كذلك تضمنت نفس المارضة الصدود ، وهو الخوف من الدافع ، الذي ظهر بشكل خوف من الرجل . فيما بعد ولـ عنصر « الاغتصاب » من الخوف واستبدل به « القتل » ، بما يتفق وتصنع آخر للمحتوى الواضح حتى الآن للمارضة .

في هذا المثال لا نرى نقيفين منفصلين أصلاً قد توحدا في ظاهرة فحسب ، بل أيضاً تحولا للظاهرة الى عكسها ، تحولا للرغبة

★) نقض الزواج هو الذي في المصطلحات الدينية . – المترجم .

ال خوف . في هذا التحول للطاقة الجنسية الى خوف ، وهو واحد من المكتشفات الاولى والاساسية لفرويد ، تمثل واقعة ان نفس الطاقة في ظرف معين تنتج العكس تماما مما يظهر في ظرف آخر . وثمة مقوله تجريبية جدلية أخرى يعبر عنها مثالنا . في الجديد ، وهو المارضة ، يتواجد القديم ، وهو الرغبة الجنسية . ومع ذلك فالقديم لم يعد هو نفسه ، بل أصبح في نفس الوقت شيئا جديدا تماما ، أي أصبح خوفا . الا ان التضاد الجدلبي بين اليبido والخوف يمكن حله بشكل آخر ، بالتحديد انطلاقا من التضاد بين الانا والعالم الخارجي ٣٨ )

(٣٨) ان تناقض هذا الرأي القائل بثنائية الدافع ، وهو رأي «من اليوم الاقتصادي جنسيا ، مع رأي فرويد يمكن صياغته كما يأتي : يقول فرويد من جهة تضادا بين الانا والعالم الخارجي ، ثم ، بالاستقلال من ، هذا التضاد ، ثنائية داخلية بين دافعيين اصليين . وقد ثبّثت فرويد على الدوام بالطابع الشكلي للعملية النفسية التي اكتشفها . اما الاقتصاد الجنسي فهو مختلف لهمه لثنائية الدافع الداخلية ، اذ لا يعتبرها مطلقة ، بل جدلية ، بالإضافة الى انه يشتق التناقضات الدوافعية الداخلية من التضاد الاصلي : الانا / العالم الخارجي . سوف نذهب بعيدا ، ان اردنا ان نعرف هنا هذه المسائل المقددة جدا ، وخاصة ان نبين ، كيف ان نظرية الدافع الاقتصادي الجنسية قد نشأت عن الفردية ، مادا أخذت منها واي المفاهيم استبدلتها باخرى او تابعت تطويرها . الومض من انصار الاقتصاد الجنسي يميلون هنا الى ان يرجعوا الى فرويد مفاهيم ، فدعا هو نفسه . وربما ان الاقتصاد الجنسي هو المتابعة الاكثر التزاما بالعلم الطوبومي التحليل النفسي ، فانه من البديهي ان كثيرا من مفاهيمه الاساسية قد .. . متكورة او منحرها بها او كامنة في ابعاد التحليل النفسي . وهذا ما يخلق سموحة في التفريق بين كلا الفرعين العلميين . غير ان نظرية واحدة الى الاراء . كافية للتأكد من عدم امكانية التوفيق بين نظرية الجنس والدافع / الاقتصاد الجنسي الحالية والنظرية التحليلية النفسية الحالية . واثني على المفهوم ، من بعض الانصار الضليعين لكان الفرعين العلميين ، لارغب في تجنب الاتهام ، بين شتتين غير قابلين للتوفيق . ويعطي الفصل الاخير في « تحليل العالم » ، التناقض الاصلي للحياة البينانية ، درسا حول منطلقات نظرية الاداء الاقتصادي الجنسي ، مجلة علم النفس السياسي والاقتصاد الجنسي ،

١٩١٦

ولكن قبل ان ننتقل الى ذلك ، نريد بالاستناد الى امثلة صفيرة تبيان المزيد من الجدل فيما هو نفسى . بخصوص الانقلاب من اللكم الى النوع : ان كبت افعال دافعى عن الوعي او حتى مجرد قمعه يكون ضمن حدود لذينا ، لانه يزييل نزاعا . لكن بتجاوز هذه الحدود تنقلب اللذة الى لا لذة . فالإشارة الطفيفة للمناطق الشهوانية غير القادرة على الارضاء النهائي تجلب اللذة ، فاذا ما طالت الاشارة انقلبت اللذة الى لا لذة .

ومن الواقع العدلي ايضا التوتر والاسترخاء . ويظهر هذا على افضل وجه في الدافع الجنسي . ان التوتر الناجم عن استثارة جنسية يرفع من الشهوة . لكنه في نفس الوقت يخفف من التوتر عبر الارضاء في الاشارة ، فهو اذن في الوقت ذاته استرخاء . ان التوتر يمهد للاسترخاء الم قبل ، مثلما يهيء التوتر الآلي لنابض الساعة لاسترخاء النابض من جديد . وبالعكس فان الاسترخاء مرتبط باشد التوتر - مثلا في الفعل الجنسي ، او التوتر الاسترخائي لدى دراما مشوقة - لكنه ايضا ارضية للتوتر مستجد .

ان مقوله تماهي الاضداد تبين في عمليات الليبيو الترجسي ولبيدو الموضوع . تبعا لفرويد ليس حب الذات وحب الموضوع متضادين . فحسب الموضوع ينشأ عن الليبيو الترجسي ويمكن في أي وقت ان يعود ويستعيض اليه . ولكن طالما ان الاثنين يمثلان ميليين الى الحب ، فهما متماهيين . وعلى كل فهما يعودان الى منبع واحد ، الى الجهاز الجنسي السبدني والى الترجسية الاولية .  
يضاف الى ذلك مفهوما « الوعي » و « اللا شعور » : فهما نقىضان ، ولكن يتبيّن من المصاب القسري انهما يمكن أن يكونا في آن واحد متضادين ومتماهيين . فالمرضى بهذا المصاب يكتبون تصوراتهم عن وعيهم بشكل انهم يتذمرون عن التصور الانتباه فقط ، أي

الانشغال العاطفي . التصور « المكبوت » هو في كل وقت واع ومع ذلك لا شعوري ، هذا يعني ان المريض يستطيع استعادة التصور ، لكنه لا يدرك معاناته . — مفهوما الهر والانسا يعبران كذلك عن نقاصين متماهيين : فليست الاننا من جهة سوى جزء متباين بشكل خاص ، لكنها تصبح في الوقت ذاته وتحت تأثير العالم الخارجي عدوة ، مناوته وظيفيا للهو .

مفهوم التقمص لا يتفق والحدث الجدلي فحسب ، بل يطابق أيضا تماهي الاضداد . وتبعا لفروديد يحدث التقمص بشكل ان الشخص المربي المحبوب والمكره في ذات الوقت « يستوعبه المرء في ذاته » (« يتماهي » معه ) ، هذا يعني انه يتبنى حالاته ووصاياه . اذ ذاك تضمل عادة العلاقة بالموضوع . فالتقى من ينوب عن العلاقة بالموضوع ، هو اذن نقاصها ، نفيها ، ولكن في ذات الوقت المحافظة على العلاقة بالموضوع في شكل آخر ، هو اذن ايجاب . وهذا يقوم على اساس التناقض او النزاع التالي : « أنا احب الشخص س . كمرب يعزم عليَّ الكثير ، ولهذا اكرهه . اريد تعطيله ، ازالته ، لكنني احبه ايضا ، ولهذا اريد المحافظ عليه » . امام هذه الحالة المفعمة بالتناقض ، والتي لا يمكن باعتبارها كذلك ان تبقى قائمة لدى بعض التماهي للانفعالات المتضادة ، هناك المخرج التالي : ان « استوعبه » ، « أما هي » ، نفسي معه ، أعدمه ( اي أعدم علاقتي به ) في العالم الخارجي ، ولكنني احتفظ به في ذاتي في شكل مغاير . لقد اعدمه وحفظته مع ذلك . » .

في تلك الواقع ، التي يعبر عنها في التحليل النفسي بمفهوم تكافؤ الضدين . بالنعم واللا المترافقين ، ما زال هناك وفرة من الظواهر الجدلية ، نذكر منها ابرزها ، وهو تحول الحب الى كره . في الواقع يمكن للعب ان يعني كرها وبالعكس هما متماهيان . طلما

ان كليهما يمكنان من ارتباطات عميقة مع السفير . والانقلاب الى العكس هو خاصية يعيدها فرويد الى الدوافع بصورة عامه . الا ان القديم لا يزول لدى الاعتكاس ، انا يبقى بتمامه محفوظا في عكسه . كذلك فان تضاد الشذوذ والعصاب يمكن حله جديلا ، حيث ان كل عصاب هو شذوذ منفي وبالعكس .

ويقدم الكتب الجنسي الرمني مثلا جميلا عن التطور العدلي . لدى البدائيين ثمة تضاد حاد بين تحريم غشيان الاخت ( والام ) والعرية الجنسية تجاه بقية النساء . لكن التقييد الجنسي امتد باستمرار ، فشمل في البدء بنات المم فقط ، وفيما بعد جميع نساء العشيرة المعنية . ثم انقلب اخيرا مع امتداد التقييد الى موقف مغاير نوعيا من الجنس على الاطلاق . مثلما في المجتمع البطريركي وخاصة في العصر المسيحي . لكن الكتب المعانظم للجنس بمطلقه انتج نقيسه بشكل ان تحريم العلاقات بين الاخ والاخت قد خرق حاليا بالفعل في فترة الطفولة . والراشدون لا يعودون يعرفون شيئا على الاطلاق عن الجنس الطفولي نتيجة الكتب الجنسي الهائل . بحيث ان الالهاب الجنسية بين الاخ والاخت لا ينضر اليها اليوم على انهما جنسية وتعتبر من البدائيات حتى لدى « أرقى » تربية . كان البدائي لا يقع له مجرد النظر الى أخيه ، فيما عدا ذلك كان طليقا جنسيا . أما المتمدن فيعيش حياته الجنسية الطفولية مع أخيه ، لكنه فيما عدا ذلك مقيد بأشد الاوامر الاخلاقية (٣٩) .

(٣٩) (١٩٢٤) هذا المقطع يحتاج الى بعض التصحح : عندما صفتة لأول مرة . كنت واقعا تحت تأثير النظرية البورجوازية ، بان الوحدة الجنسية للمجتمع الارلي كانت هي الاسرة . وقد تطابقت هذه النظرية مع نظرية فرويد في « طوطم وتابو » . وترجم المعلومات عن عمليات التطور الحاسنة ، التي حولت حتى

«

لتنتقل الآن إلى مسألة ، إلى أي مدى كشف التحليل النفسي عن الجدل في المجال النفسي من جهة التطور العام للفرد في المجتمع .  
إذ ذاك أمامنا مسألتان جوهريتان للمعالجة :

أولاً ، ما إذا كان الجدل في المجال النفسي يمكن ارجاعه إلى التضاد الأول ( القابل للحل ثانية ) بين الانا ( الدافع ) والعالم الخارجي .

ثانياً ، كيف تتناقض النظرة المقلانية واللاعقلانية للمعطيات الفردية وكيف تتدخل مع ذلك الواحدة في الأخرى .

كما في الفصل الأول قد عرضنا رأي التحليل النفسي الفرويدي ، بأن الفرد يأتي إلى العالم من الناحية النفسية كرزمة من الحاجات والدوافع المطابقة لها . بهذه الحاجات يوضع الفرد ككائن مجمعن فوراً في المجتمع ، ليس فقط في المجتمع الاضيق للأسرة ، بل أيضاً بصورة غير مباشرة ، أي عبر الظروف الاقتصادية للحياة الاسراوية ، في المجتمع الأوسع . وبأبسط تعبير يمكن القول ، أن البنية الاقتصادية للمجتمع تدخل – من خلال مفاصيل كثيرة : الانتفاء الطبيعي للأبوين ، العلاقات الاقتصادية للأسرة ، الأدبيولوجيات ، العلاقة بين الأبوين الخ – في تأثير متبادل مع الدافع / الانا للوليد الجديد . فكما يغير الوليد من وسنه ، فإن الوسط المتغير يعود فيؤثر عليه . إن الحاجات يجري ارضاها جزئياً ، وإلى هذا العدد يسود التناقض . ولكن في الجزء الأكبر ينشأ تضاد بين حاجات الدافع والنظام الاجتماعي الذي تمثله ، كما سبق القول ، الأسرة ( وفيما بعد المدرسة ) . هذا التضاد

→  
الامومة الى حق الاية ، الى الاعتراف بأن ليس فقط الاخت الشقيقة بل ايضاً جميع بنات المشيرة خاضعات مسبقاً الى التحريم المذكور . بخصوص التناقض بين الاسرة والمشيرة انظر معيجتي في « خرق الاخلاق الجنسية » .

يخلق نزاعا ، يقود الى تغيير . وبما ان الفرد هو الخصم الاضعف ،  
فان النزاع يقود الى تغيير في بنية النفس . امثال هذه النزاعات  
الناجمة عن الاضداد ، التي لا حل لها مع بقاء بنية الطفل على ما  
هي عليه ، تنشأ كل يوم وكل ساعة وتشكل العنصر الدافع الى  
الامام اصلا .

في الحقيقة يتحدث المرء في التحليل النفسي عن الاستعداد  
الفطري وميول التطور وغير ذلك ، لكن الواقع التي خبرت حتى  
الآن حول تطور الطفولة المبكرة ، لا تؤيد الا التطور الجدلي  
المعروف أعلاه من انتقال بالمتناقضات من مستوى الى مستوى .  
ويميز المرء بين مستويات تطور الليبido ، فيقول ، ان الليبido  
يمر بمستويات التطور ، لكن الملاحظة تشير الى ان أي مستوى  
لا ينشط بالواقع دون حرمان الدافع من الارضاء على المستوى  
الذي سبقه . وهكذا يصبح حرمان الدافع من الارضاء من خلال  
النزاع ، الذي يخلق العرمان في الطفل ، محرك تطور الطفل .  
ونحن نهمل هنا ذلك الجزء ، الذي تؤثر به الوراثة على هذا  
التطور ، والذي – مثل فطرة ممناطق الاشارة وجهاز الادراك –  
يصفه هذه يصعب على المرء ان يعرضه خالصا . انه ما زال يمثل  
مجالا مجهولا بحق امام الابحاث البيولوجية . وليس هنا مكان  
التساؤل عن طبيعة الجدل فيه . بلا شك علينا ان نحسب حسابه ،  
الا اننا نكتفي فيما تبقى بصيغة فرويد ، وهي ان فطرة الدافع (٤٠) .

(٤٠) (١٩٣٤) كذلك تحتاج هذه الصياغة الى تصحيح مسهب . الاقتصاد  
الجنسى يستبدل مفهوم الطبيعة المطلقة بنظرية الدافع بفهم آخر ، وهو ١-  
الاستعداد الفطري يمكن ان يوجد فقط في فروق الانتاج البيولوجي الفيزيولوجي  
للطاقة ٢- من ثم لا تظهر الفروق باعتبارها « استعداد وراثي » الا عندما  
يخلق لها التطور الشروط لذلك . هذا يعني ان نفس الشيء الذي في احدى  
الحالات كاستعداد للعصاب ، قد لا يظهر هكذا في حالة اخرى . والثغرات التي  
←

تشارك في التطور بنفس الطريقة التي تشارك بها تجارب  
الحياة ★ .

ومن بين المعايشات تحوز الى جانب حوادث ارضاء الدافع  
حوادث حرمان الدافع على دور بزارز كمحركات للتطور . في  
النهاية يُؤول التضاد بين الدافع / الانا والعالم الخارجي الى نزاع  
داخلي ، حيث يبدأ بالتكوين تحت تأثير العالم الخارجي عضو معين  
في الجهاز النفسي ، وهو الانا العليا . وما كان في الاصل خوف  
من العقاب يصير ردعا اخلاقيا .

لقد صار النزاع بين الدافع والعالم الخارجي الى نزاع بين  
الدافع / الانا والانا العليا . الا اننا لا ننسى ان كلا النزاعين من  
طبيعة مادية ، ذاك يتندى عضويا بصورة مباشرة ، والثاني مبني  
في الانا لصالح حفظ الذات في نهاية المطاف . ويقييد دافع حفظ  
الذات (الترجسية ) الدافع الجنسي والمدوانيّة . وهكذا فان  
 حاجتين اساسيتين ، تكونان أصلا في مرحلة الرضاعة وكذلك في  
حالات كثيرة فيما بعد وحدة واحدة، تتعارضان وتدفعان من نزاع  
الى نزاع التطور الى أمسام . ولا يتم هذا بداعي الارتباط

تملا معرفتنا العيانية بهذه الواقع تشرط كذلك صياغة نظرية فضفاضة . وأول  
محاولة لعرض ذلك توجد في ملحق « خرق الاخلاق الجنسية » .  
من المرجح ان علم الطبيعة المادي الجدلی القائم لن يأخذ الكثير عن علم  
الوراثة الحالی ، الذي هو مركز قوة من الدرجة الاولى لجعل الفهم الحضاري  
البورجوازي . فهذا العلم يقف بصورة رئيسية على احكام قيمة اخلاقية ولا يقدم  
سوى الزهيد من العناصر العلمية الطبيعية ، وقد بلغ حتى الآن قمته في «نظرية»  
هتلر المنصرية بما فيها من جنون عظمة .  
★ بمعنى معايشة الشيء ، ولذلك ستنستعمل فيما يلي عبارة «معايشة»  
او «معايشات » . - المترجم .

الاجتماعي فحسب ، بل تماما من قبل هذا الارتباط )٤١( .  
اذا كان النزاع الداخلي والخارجي يحدد التطور بصورة عامة ،  
فإن الواقع الاجتماعي يملأ كلا من الاهداف الدوافعية والروادع  
الأخلاقية بتصوراتها ومحتوياتها المصرية . اذن فالتحليل النفسي  
يؤكد تمام التأكيد على المقوله الماركسية بأن الواقع يحدد الوعي ،  
أي تصورات وأهداف الدوافع والآيديولوجيات الأخلاقية الخ ،  
وليس بالعكس . الى جانب ان التحليل النفسي يملأ هذه المقوله  
بخصوص التطور الطفولي بمعتوى ملموس . ولكن هذا لا يمنع  
من أن كلا من شدة الحاجات المشروهطة بدنيا والفرقون النوعية في  
التطور يسببها جهاز الدافع . وهذا ليس « سلططا مثالي » ، كما  
غيرني بعض الماركسيين في مناقشات حول هذا الموضوع ، بل  
يتافق تماما مع المقوله الماركسية ، بأن البشر أنفسهم يصنعون  
تاریخهم ، انما ضمن مقدمات وشروط معينة ذات طبيعة  
اجتماعية )٤٢( . وقد اعتبر انجلز صراحة في احدى رسائله

---

(٤١) (١٩٣٤) هنا تطرح نفسها مسألة ، كيف تشق التناقضات  
الداخلية ، التي تنتج النزاع النفسي الداخلي ، من النزاع الاولى بين الانا  
والعالم الخارجي ، وكيف من ثم تستقل بذاتها . هذه المسالة المحورية عن طبيعة  
« قانون التطور الجدي » ، لم تتبناه الا منذ وقت قصير ، عندما اجتذبت قضية تكوين  
الطباع والاهتمام . ولا استطيع حاليا ان احكم الى اي مدى استقصي هذا بشكل  
ملموس من قبل هيجل او من قبل ماركس . وانا افضل ان ادخل هذا الميدان  
الجديد الذي يمثل الجدل فيما هو نفسى ، دون تحيز ، من اجل ان استخرج هذا  
منه . وقد بدا لي ان مسألة ، كيف يصل الامر الى تكون التناقضات الداخلية ، لم  
تلقي اجابة لدى ماركس . ومن الممكن اتناء دراستي للfilosophe الماركسية لم  
اكن معانيا باستقصاء هذه المشكلة وغفلت عنها لهذا السبب .

(٤٢) (١٩٣٤) وبما ان الماركسية الاقتصادية الحالية تهاجم باسم كارل  
ماركس التحليل النفسي ، فانني اورد شاهدا بينن كم كان ماركس يشنن الحاجات  
باعتبارها قاعدة الانتاج والمجتمع . من الواضح ان مسائل الخلاف العلمي لا  
--<

على اعتبار الانتاج وانتاج الحياة الواقعية هو العامل المحدد الوحيد لتطور الايديولوجيات . انما هو فقط المرجع الاخير من بين الموارم المعددة (٤٣) .

لو ترجمنا هذا القول الى لغة علم الاجتماع ، لما انت الاطروحة المركبة لفرويد حول أهمية عقدة اوديب بالنسبة لتطور الفرد غير ان الواقع الاجتماعي يحدد هذا التطور . والاستعدادات والدואفع البشرية ، وهي اشكال فارغة من أجل المحتويات الاجتماعية التي ستتخذها ، ترجع عبر المصائر (الاجتماعية )

تحسّسها اليوم تحريات موضوعية بل دواعي الهيئة والمقام ، وان الاستشهاد لا يفيد بشيء : ان الافراد « ينطلقون من ذواتهم ، دائمًا وفي كل الظروف ، ولكن ما انهم ليسوا اوحدين بمعنى انهم لم يكونوا ليحتاجون الى اية صلة فيما بينهم ، وبما ان حاجاتهم ، اي طبيعتهم ، ونمط ارضائهما ربطهم ببعض ( علاقات جنسية ، تبادل تقسيم العمل ) ، فقد تحمّل عليهم ان يدخلوا في علاقات فيما بينهم . وبما انهم من ثم لا يقيّمون صلاتهم باعتبارهم اثوات(\*) خالصة ، بل كافرads في مرحلة تطور معينة لقوى الانتاج وللحاجات ، هذه الصلات التي تحدّد بدورها الانتاج وال الحاجات ، فان السلوك الشخصي ، السلوك الفردي للافراد ، سلوككم كافرads تجاه بعضهم ، هو الذي يخلق العلاقات القائمة ويبعد خلقها يوميا من جديد . لقد اقاموا صلاتهم وهم على ما هم عليه ، انطلقوا « من ذواتهم » كما هم عليه ، سيان ايا كانت « نظراتهم الى الحياة » . و « النظرة الى الحياة » ، حتى نظرة الفلسفة الموجّة ، لا يمكن بالطبع ان تتحدد ، وهي جميع الاحوال ، الا من خلال الحياة الواقعية . ماركس/انجلز ، الايديولوجيا الالمانية ( النص مترجم من قبلنا . انظر الطبعة العربية ص ٤٧٧-٤٧٨ . المترجم ) .

(\*) اثوات : جمع أنا - المترجم .

(٤٢) « و اذا ما قلب امرؤ هذه المقوله الى ان العامل الاقتصادي هو المحدد الوحيد ، فإنه بهذا يحول هذه المقوله الى شعار اجوف مجرد لا معقول » . (رسالة انجلز الى بلوخ في ٢١-٢٢ ايلول ١٨٩٠ . المترجمة من قبلنا . انظر الترجمة العربية في انجلز - نصوص مختارة ، ترجمة وصففي البني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ١٩١ . وترجمة هذه المجلة بالذات غير موثقة . وهذا بالطبع ليس حكما على مجلـل الكتاب ! . المترجم ) .

للعلاقات الى الاب والام والمربيين وتكسب عندهن ، وليس قبلها النهائى ومحتوياتها .

ولا يتجلى جدل التطور النفسي فقط ، في أنه من كل حالة نزاع يمكن ان تتكون ، تبعاً لتوازن قوى الاختلاف ، نتائج مترادفة ، بل ثبت بالخبرة السريرية ان السجايا يمكن في حالات نزاع مناسبة ان تنقلب الى نقايضها المباشر ، الذي كان كثرة متواجداً لدى اول حل للنزاع . ان طفلًا قاسي القلب يمكن ان يصبح اكشن الناس عطفاً ، ليس دون ان يتمكن تحليل دقيق من اثبات القساوة القديمة في العطف . وأقدر الاطفال يمكن ان يكون فيما بعد موسوساً في النظافة ، واكثراً لهم فضولية يمكن ان يصبح انساناً شديد التستر . العصبية يمكن ان تنقلب بسهولة الى زهد . بالتأكيد ، كلما نمت سجية بصورة اكثر شدة ، كان اسهل لها عند وجود الدواعي المناسبة ان تنقلب الى ضدها ( تكوين الرجاء المضاد ) ★ .

بيد انه من جهة اخرى . لدى تتابع التطور لا يضيع القديم تماماً عن طريق التحول . ففي حين ان جزءاً من السجايا يتعدل الى نقايضه ، يبقى جزء آخر قائماً دون تغيير ، ليس دون ان يعاني بمرور الزمن تحولات شكلية نتيجة تغيير محل الشخصية . من هنا فان المفهوم الفرويدي للتكرار يلعب دوراً كبيراً في سيكولوجيا التطور النفسي ويثبت لدى التمعيin الدقيق انه جدل بلا ريب (٤٤) . ذلك ان المكرر هو دائماً القديم وكذلك الجديد ، الذي

(\*) الرجع المضاد : رد الفعل الجنسي . السجية : الطبع - المترجم .  
(٤٤) (١٩٣٤) ان نظرية الحاج التكرار خارجاً عن مبدأ اللذة اثبتت نفسها في هذه الاثناء كفرضية ولدت خصيصاً لغاية نزع الصفة الجنسية عن العملية النفسية . وثمة دحض مستفيض لها في فصل « الطبع المازوخى » ، من ←

هو قد يم في لباس جديد أو في وظيفة جديدة . هذا ما نراه في المارضة . وكذلك الامر أيضا في التصعيد . فالطفل الذي كان يصبو للعب ببرازه ، عندما يحلو له فيما بعد ان يبني حصنا بالرمل البليل ، وان يتوصل أخيرا في يف ساعته الى تطوير اهتمام كبير بالشيئات ، فان القديم ما زال عندئذ قائما في جميع الاطوار الثلاثة ولكن في شكل آخر ووظيفة أخرى . وثمة مثال آخر في تاريخ الجراح أو الطبيب النسائي . فالاول يقصد ساديته في العمليات الجراحية ، والثاني متعة الفرجة والتلميس .

ان الحكم على صحة هذه المكتشفات ليس من شأن النقد المنهجي بل من شأن النقد التجربى وحده . فمن لم يحلل جراحيا ، لا يقدر ان يجادل في صحة هذا الزعم . الا انه من حيث الطريقة يستطيع ان يثير اعتراضا هاما ، وهو ارتباط فعالية الانسان بظروف الواقع الاقتصادية . لكن التحليل النفسي لا يزعم اكثر من ان هذه القوى او تلك تفعل بفعالية الانسان هذه (٤٥) . الى جانب هذا الاندفاع الذاتي يكون شكل التصعيد بالطبع مشروطا ولا شك بالعامل الاقتصادي ، اذ ان ما يقرر ان الانسان سوف يقصد ساديته

»

• تحليل الطابع ، ١٩٣٢ . من وجاهة نظر جدلية بالمعنى الوارد في النص اعلاه لا يكون التكرار الا ضمن مبدأ اللذة واللذلة ، الذى لا يجوز تقديره لاعتبارات معرفية ، اذا لم يرد المرء ان يعود فيقتحم الابواب ثانية للميتافيزيكية المعدة .

(٤٥) (١٩٣٤) لقد كانت في حينه جد ايجابي في تقييمى لوقف التحليل النفسي تجاه نظراته الاساسية الخاصة به . ان كون محتويات النشاط النفسي تشكل عقلانيا للعالم الخارجى وان عبوات الطاقة فقط تتحدر عن العالم الداخلى ، هذا ما لا يجاهر به اي محلل غير ماركسى . ويبين هذا من انه مثلا يفسر الرأسمالية بكل جدية من الحياة الدوافعية ، بيد اتنا لا ننفل هنا عن قضية هامة غير موضحة بعد ، وهي كيف يتسمى لجهاز الطاقة النفسي ان يشكل من مثيرات العالم الخارجى ، التي تصيبه ، تصورات عن العالم الخارجى تقدر من ثم

«»

كتصاب او كجراح او استغبارات هو مكانته الاجتماعية . وقد يصبح التصعيد لاسباب اجتماعية غير معنون، مما يؤدي عندئذ الى عدم الانسجام مع المهمة المفروضة اجتماعياً .

وتفرض نفسها من ثم مسألة كيف تتفق المقلانية الجلية للفعالية الإنسانية مع لا عقلانية الاحساس ، التي لا يمكن انكارها أيضاً . ان الرسام يرسم والتقني يبني والجراح يشرح والطبيب السائني يفحص ، ولكن في سبيل العيش ، اذن لاسباب اقتصادية ، لا سباب عقلانية ، بالإضافة الى ان العمل عامل اجتماعي ، اذن لا شك عامل عقلاني . فكيف يتفق هذا مع ما يعلمه التحليل النفسي من ان المشتغل يقصد في شغله دافعاً ويرضيه بهذه الطريقة ؟ هناك بعض المحللين الذين لا يقدرون الطابع المقلاني للفعالية الإنسانية حق قدر . ويمكن للمرء ان يثبت لديهم رؤية للعالم لا تريد ان ترى في انتاج الفعالية الإنسانية غير استغاثات وارضاءات للدوافع (٤٦) . بهذا الصدد علق احد المحللين مرة متندراً، بأن الطائرة هي حقا رمز للقضيب ، ولكن المرء لا يستطيع ان يسافر بها من برلين الى فيينا .

وتنأتى اشكالية الصلات بين ما هو عقلاني وبين ما هو لا عقلاني (٤٧) من الواقعة التالية : الفساة من اعتمال الارض

→ مستقلة عن المثيرات الخارجية ان تعيد انتاج نفسها . هذه القضية تقع على نفس الدرجة من الاممية مثل قضية نشوء التناقضات الداخلية . ولا جرم ان هذه هي قضية الوعي عموماً . ولا يوجد بهذا الصدد حتى بدايات صالحة لحل مرض .  
(٤٦) (١٩٢٤) لدى فرويد نفسه فقط في مبتدئات لم يركز عليها ، كما في فمه لاختراع النار ، هذه المبتدئات لفهم العالم مثاليها ، التي تتلاشى لدى فرويد بالمقارنة مع نظرياته واكتشافاته المادية ، جرى ابرازها من قبل محللين يفكرون ميتافيزيكياً واخلاقياً ، وتابعوا تطويرها الى مفاهيم عجيبة .  
(٤٧) مؤكداً ان عبارة « عقلاني » مستعملة هنا بمعنى منطقى موافق للغرض ، « لا عقلاني » بمعنى لا طائل تحته ، غير موافق للغرض .

بأدوات العمل وزرع البذور ، من ناحية المجتمع كما لدى الافراد، هو انتاج وسائل العيش . الا ان هذا يتخد ايضاً مفهوم رمزياً . وصلة الفعالية المقلانية بالفعالية اللا عقلانية تتوارد في ايقاعية كلا الوظيفتين ، في حفر أداة في مادة ، في زرع البذرة وفي انتاج ثمرة عن طريق المادة المتمللة بالطريقة المذكورة . اذن فالرمزية مبررة . كذلك ترى ان ما كان في الظاهر لا طائل تحته له نواة من المعقولة ، نرى ان الرمزية لها خلفية واقعية في حقيقة ان الام مثلها مثل الارض بعد اعتمالها باداة (رمز القصيب) تحمل ثماراً . وان اقامة اعضاء ذكور اصطناعية على الحقول المفلوحة لجلب الخصوبة سحرية ، وهو صنيع غير ملائم للفرض من الناحية الموضوعية ذو طبيعة سحرية كانت تمارسه شعوب بدائية كثيرة يضيء جانبها معيناً للصلة ما بين المقلاني واللا عقلاني هنا تجري محاولة سحرية للوصول الاسهل والافضل الى هدف معين بواسائل لا عقلانية . ومع ذلك لا يحمل النفل المقلاني ، وهو في هذه الحالة فلح وزرع الارض فعلياً . وهذا الذي يظهر في زراعة الارض ، كمنصر رمزي ، لا عقلانياً ، أي الاتصال الجنسي ، هو بعد ذاته معقول وهادف . فهو يقدم ارضاء الحاجة الجنسية ، كما ان الزرع يخدم حفظ الذات . اذن فنحن نرى ثانية انه لا توجد متناقضات مطلقة ، وان التعارض بين المقلاني واللا عقلاني قابل ايضاً لان يحل جديلاً .

وما زالت الحقيقة الجدلية ، بأن ما هو عقلاني يتضمن ما هو لا مقلاني وبالعكس ، تحتاج الى تأمل عن كثب . والخبرة التحليلية النفسية تستطيع ان تقدم اجابات حول وقائع سريرية افرادية . فهي تبين ان فعاليات الانسان المادفة اجتماعياً يمكن ان تعوز ، ولا يتعتمد عليها ان تعوز ، على معنى رمزي . كذلك ، فمثمنما ظهر سكين او شجرة في المنام ، فإن هذا يمكن ان يكون رمز

القضيب ، ولكن ليس محتوما . يمكن ان يعني سكينا او شجرة فعلية . واذا ما ظهر في المنام كرمز ، فان المعنى المقلاني بذلك ليس مستبعدا البتة . ذلك لان المرء اذا ما تقصى المسألة تحليليا ، لما يتمثل القضيب بالشجرة او بالسكين تعديدا وليس بالعما مثلا ، فسيجد في حالات كثيرة تعلقا لذلك . وهكذا كانت تستمني مرية شبة مع السكين التي ترمز بلا شك الى القضيب . الا ان اختيار السكين يرجع الى ان أنها رمتها من الخلف مرة بسكين وجراحتها . في الاستثناء كانت تتقلب فكرة انه يتعمق عليها ان تتدمى بالسكين . وهذا بالفعل الذي أصبح فيما بعد لا عقلانيا ، كان في الاصل لا ريب عقلانيا ، ذلك لانه كان يقدم الارضاء الجنسي . من هذه الامثلة نرى ، ونستطيع من خلال أمثلة أخرى كثيرة ان نبين ، ان كل ما يظهر في لحظة التفحص لا عقلانيا كان له في يوم من الايام وظيفة مقلانية . ومن المعلوم ان لكل عارضة ، وهي بعد ذاتها لا عقلانية ، معنى وغاية ، اذا ما اعادها المرء تحليليا الى منشئها . نتيجة هذا التفحص هي ان كل ما هو فعل دوافي طفولي يخدم النزوع المقلاني الى اللذة ، يصير الى فعل لا عقلاني ، عندما يلقي مصير الكبت او ما شابه . ما هو عقلاني اذن هو البدئي .

لتناول مثلا تسوية الآلات ، فاننا نجد فيها عناصر لا عقلانية ، شيئا من الارضاء الرمزي لرغبة لا شعورية . ففي التصعيد ثمة قوة دوافعية ، كانت ذات يوم في الطفولة مدة عقلانيا للارضاء ، جرى حرفها عن هدفها الاصلي من خلال التربية وتوجيهها نحو هدف آخر . لكن في اللحظة التي يتم فيها التنازل عن الهدف الاصلي ، يبقى هذا الهدف محفوظا في الخيال ، ويصبح السعي اليه لا عقلانيا . واذا ما وجد الدافع في التصميد هدفا جديدا ، فان السعي الذي صار لا عقلانيا يختلط مع الفعل المقلاني

الجديد ويظهر هنا كتعليل لا عقلاني لها الفعل . وسوف نقوم بتبیان ذلك نموذجيا على مثال دافع المعرفة الجنسي الذي فعل فعله فيما بعد لدى الشخص المعني بالاشغال كطبيب نسائي مثلا :  
١ - الطور الاول : دافع المعرفة الجنسي موجه عقلانيا على تأمل الجسد العاري والعضو الجنسي . الهدف المقصودي : ارضاe التشوّق للمعرفة .

٢ - الطور الثاني : العرمان من الانشغال المباشر . الدافع يفقد ارضاه ، المسعى يصبح بالنظر الى الواقع الاجتماعي الراهن لا عقلانيا .

٣ - الطور الثالث : الدافع يلقي انشغالا جديدا ذا صلات مع الانشغال القديم من حيث المحتوى . الشخص المعني يصبح طيبا ويتأمل الآن من جديد أجسادا عارية وأعضاء جنسية كما في أيام الطفولة . انه يقوم بذات الشيء الذي كان يقوم به كطفل ، وبقدر ما فعاليته مرتبطة بالحالة الطفولية ، فهي راهنيا لا معنى لها ولا قصد . بالمقابل يقدر ما هذه الفالية مرتبطة بوظيفته الاجتماعية الحاضرة ، فهي معتبرة .

لكن هذا لا يعني ، ان الوظيفة الاجتماعية هي التي تقرر ، ما اذا كان الانشغال عقلانيا أم غير عقلاني . فتحول انشغال معين من عقلاني الى لا عقلاني وبالعكس يتعلق أيضا بالموقع الاجتماعي الراهن للفرد . فنفس ممارسة الطبيب ، التي لا معنى لها في عيادته ، تصير في حياته الشخصية لدى الفعل الجنسي معتبرة ٠٠ وما كان في الميادة معتبرا ، يفقد في نفس الحاله الشخصية طابعه العقلاني .

بيد أن هذه التأملات تسمح بالافتراض ، ان التحليل النفسي مهيئ بفضل منهجه لاماطة اللثام عن الجذور الدوافية لفعالية الفرد الاجتماعية ، وبفضل نظريته البديلة حول الدافع مهيئ

لاستجلاء دقائق الاثر النفسي لعلاقات الانتاج في الفرد ، هذا يعني الشرح المفصل لتكوين الايديولوجيات « في رأس الانسان » . وفيما بين القابين : البنية الاقتصادية للمجتمع والبناء الفوقي الايديولوجي ، اللذين استقمني المفهوم المادي للتاريخ بصورة عامة صلتهما السببية ، يدرج الاستيماب التحليلي النفسي لسيكولوجيا الانسان المجتمع جملة من المفاصل . يمكن ان يبين ، ان البنية الاقتصادية للمجتمع لا يجري نقلها الى « رأس الانسان » كاديولوجيا مباشرة ، بل ان الحاجة الفنائية ، المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية المعنية في اشكال تعبيرها ، تؤثر على وظائف الطاقة الجنسية التي هي اكثـر طـواعـيـة بـكـثـيرـ من الحاجـة الفـنـائـيـة . كما يـبـينـ انـ التـأـثـيرـ الـاجـتـمـاعـيـ عـلـىـ العـاجـةـ جـنـسـيـةـ عـنـ طـرـيقـ تـقـيـيدـ اـهـدـافـهـ يـدـخـلـ فـيـ عـلـمـيـةـ الـعـلـمـ الـاجـتـمـاعـيـ عـلـىـ الـدـوـامـ قـوـىـ اـنـتـاجـ جـدـيـدـ بـشـكـلـ لـبـيـدـوـ مـصـدـ، جـزـءـ مـنـهـ يـكـونـ مـبـاـشـرـاـ عـلـىـ شـكـلـ قـوـةـ عـلـمـ، وجـزـءـ يـكـونـ غـيرـ مـبـاـشـرـ عـلـىـ شـكـلـ نـتـائـجـ اـكـثـرـ تـطـورـاـ لـتـصـيـعـ جـنـسـيـ، عـلـىـ نـمـوـ الدـيـنـ، الـاخـلـاقـ عـمـومـاـ وـالـاخـلـاقـ جـنـسـيـ خـصـوـصـاـ، وـالـلـمـ لـغـ . هـذـاـ يـعـنـيـ اـدـرـاجـ حـكـيـمـاـ لـلـتـحـيلـ النفـسـيـ ضـمـنـ الـفـهـمـ المـاـدـيـ لـلـتـارـيـخـ فـيـ نـقـطـةـ مـعـيـنـةـ بـالـضـبـطـ موـافـقـةـ لـهـ، أـيـ هـنـاكـ، حيثـ تـبـدـأـ الشـكـلـاتـ النـفـسـيـةـ، التيـ كـشـفـتـ عنـهاـ المـقـوـلـةـ المـارـكـسـيـةـ المـعـتـنـىـ بـانـ نـمـطـ الـحـيـاـةـ المـاـدـيـ يـتـحـولـ فـيـ رـأـسـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ اـفـكـارـ . فـعـلـيـةـ الـبـيـدـوـ فـيـ التـطـورـ الـاجـتـمـاعـيـ هيـ اـذـنـ ثـانـوـيـةـ، تـابـعـةـ لـهـذـاـ التـطـورـ، وـانـ كـانـ الـبـيـدـوـ بـدـورـهـ يـتـدـخـلـ فـيـ هـذـاـ التـطـورـ تـدـخـلاـ حـاسـماـ، منـ حـيـثـ انـ الـبـيـدـوـ مـصـدـ يـصـيـرـ كـوـةـ عـلـمـ إـلـىـ قـوـةـ اـنـتـاجـ (٤٨) .

---

(٤٨) (١٩٣٤) يـحـفـظـ المـقـطـعـ الفـرقـانـيـ بـصـلـاحـيـتـهـ مـنـ حـيـثـ الـجـوـهـرـ، لـكـنهـ حـسـبـ الـمـسـتـوىـ الـعـلـمـيـ الـحـالـيـ جـدـ بـدـائـيـ وـغـيرـ دـيـقـيـ . فـلـمـ يـعـدـ يـشـكـ فـيـ انـ الـقـرـةـ <<

لكن اذا كانت عملية الليبيدو (٤٩) هي الثانية ، عندئذ علينا ان نتساءل عن الاهمية التاريخية لعقدة اوديب . لقد رأينا ، أن التحليل النفسي يفهم جميع العمليات النفسية فهما جديلا ، ولو كانت لا شعورية ، ما عدا عقدة اوديب التي تبدو انها نقطنة السكون في خضم الظواهر المترعرعة . ويمكن ان يرجع هذا الى أحد سببين اثنين : اما ان ينظر الى عقدة اوديب نظرة لا تاريخية فتعتبر معطية في طبيعة الانسان غير متغيرة وغير خاضعة للتغيير . لكن السبب الثاني يمكن ان يعود الى ان شكل الاسرة ، الذي تقوم عليه عقدة اوديب الحالية ، ما زال نسبيا على حاله منذ آلاف السنين . ويبعدو ان جونس يتبنى وجهة النظر الاولى (٥٠) ، حيث صرخ في نقاش له مع مالينوف斯基 (٥١) حول عقدة اوديب في المجتمع الامومي ، بأن عقدة اوديب « أساس وأصل » كل شيء . هذا فهم خاطئ ولا شك ، ذلك لأن اعتبار ما اكتشف اليوم من صلات للطفل بالاب والام على انه ازلي ، ثابت على حاله في كل مجتمع ، لا يتفق الا مع الرأي بأبديته الواقع الاجتماعي . ان

★★★

الانتاجية « قوة العمل » تمثل في نواتها الطاقوية مشكلة الاقتصاد الجنسي للانسان ، اي مشكلة المصادر التي يلاقيها ليبيدو في تطوريه . واديرفنز الماركسيون الاقتصاديون هذه الامكانية بكل حدة ، فإنهم يلمون في ذلك ، كما يbedo ، امامة للعمل . وما لا شك فيه ايضا ، انهم بهذا الموقف يتوقفون عن ان يكونوا ماركسيين . على انه يجب القول ، انتما ما زلتا تعلم القليل عن الصرح البنيوي والديناميكي للعمل ، مع ان هذه القضية هي القضية الصيسمية للثورة الاقتصادية الاشتراكية ولما يسمى « تقييم الانسان » ، الذي يجب ان يتبع تقويم الاقتصاد ، اذا ما اريد لهذا الاقتصاد ان يرسى ببنيويا .

(٤٩) (١٩٣٤) التشديد هنا على « عملية » . ومن المسلم به ان الطاقة الجنسية للحياة موجودة كثرة دافع حيوية قبل اي انتاج .

(٥٠) ايتابغو ، ١٩٢٨ .

(٥١) الجنس والقمع في المجتمع الوحشي ، لندن .

تأييد عقدة أوديب يعني اعتبار شكل الاسرة ، الذي تقوم عليه عقدة أوديب ، مطلقا وأزليا ، وهذا يؤدي معنى الرأي بأن البشرية مفظورة بطبعتها على ما تظهر عليه الآن .

ان فرضية عقدة أوديب تصع على جميع اشكال المجتمع الابوي، لكن صلة الاطفال بالأهل حسب أبحاث مالينوفسكي في المجتمع الامومي مختلفة لدرجة أنها بالكاد تستحق هذه التسمية . بينما مالينوفسكي عقدة أوديب هي واقعة مشروطة اجتماعيا . يتغير شكلها مع بنية المجتمع . ويتعتم على عقدة أوديب ان تزول في المجتمع الاشتراكي ، بسبب زوال الارضية الاجتماعية ، وهي الاسرة الابوية ، بسبب فقدان حقها في الوجود . والتربية الجماعية المبتغاة للاطفال غير صالحه من اجل تكوين مواقف نفسية ، كما تنشأ هذه المواقف حاليا في الاسرة ، بحيث ان صلة الاطفال ببعضهم وبالمربيين متنوعة وحافلة بشكل ان تسمية «عقدة أوديب » ذات المحتوى المحدد ، بأن المرء يشتهي الام ويريد قتل الاب باعتباره غريما ، تفقد معناها . وانه ليس اكثرا من مسألة تعريف ، ما اذا كان المرء يرغب بأن يطلق على غشيان المحارم الفعلي ، كما وجد في المصطلح البهائي اسم «عقدة أوديب » . او، ما اذا كان المرء سيحتفظ بهذه التسمية للرغبة الغائبة بغضيان المحارم وللتنافس مع الاب الفعلي . هذا يعني اكثرا من اختصار سريان مقوله تحليلية اساسية على اشكال معنية من المجتمعات . لكنه يعني في نفس الوقت رسم عقدة أوديب بأنها على الاقل من حيث الشكل واقعة مشروطة اجتماعيا وبالتالي في نهاية المطاف واقعة مشروطة اقتصاديا . وبالنظر الى تضارب الرأي الذي يسود اوساط الانثropolوجيين فإن مسألة مصدر الكبت الجنسي ما زالت في

الوقت الحالي دون حل (٥٢) . ويعتبر فرويد في « طوطم وتابو » ، حيث يستند الى النظرية الداروينية في المشيرة الاولية ، ان عقدة اوديب هي سبب الكبت الجنسي . لكنه من الواضح اذ ذاك ، ان المجتمع الامومي نال من الدراسة أقل مما يستحق . ومن زاوية أبحاث باخ اوفن - مورغان - انجلز تبين بالعكس امكانيات لاعتبار عقدة اوديب ، او بالاحرى شكل الاسرة الذي تقوم عليه عقدة اوديب ، تبعة للكبت الجنسي الذي حدث مرّة ما . - كيما كان الامر : ان التحليل النفسي سيضيّع بالتأكيد على نفسه المزيد من امكانيات البحث في المجال الاجتماعي والتربيوي ، في حال أنه أراد ان ينفي عن نفسه الصفة الجدلية ، التي كان هو ذاته قد أماط اللثام عنها في الحياة النفسية (٥٣) .

(٥٢) (١٩٣٤) في هذه الاثناء امكن تكوين تصوّر مفيد عن المنشا الاجتماعي للكبت الجنسي . انظر « خرق » ، ١٩٣٤ ، ٠٠٠ .

(٥٣) (١٩٣٤) لقد ثبت منذ ذلك الوقت ان هذا التخوف كان في مكانه . لقد اعاق علم التربية التحليلي النفسي في تطوره معيقان عقائديان لدى المحللين البورجوازيين : اولاً جامل التناقض بين ازالة الكبت الجنسي والكبح البورجوازي للجنس لدى الاطفال والاحداث . ثانياً ، الفهم البيولوجي لنزاع الطفل / الابوين .

### المكانة الاجتماعية للتحليل النفسي

لو تناولنا الآن التحليل النفسي كموضوع للدراسة السوسيولوجية لامتنعنا المسائل التالية :

١ - لاي من الواقع الاجتماعية يعود الفضل في نشوء التحليل النفسي ؟ وما هو المفزي السوسيولوجي للتحليل النفسي ؟

٢ - ما هي مكانة التحليل النفسي في المجتمع الحالى ؟

٣ - ما هي مهمة التحليل النفسي في ظل الاشتراكية ؟

#### ٤- المنشأ والمفزي الاجتماعيين للتحليل النفسي :

يرتبط التحليل النفسي ، مثل أية ظاهرة اجتماعية أخرى ، بدرجة معينة من التطور الاجتماعي ، كما انه يجد شرط وجوده في مستوى معين من العلاقات الانتاجية . هو كamarكسيّة نتاج العصر الرأسمالي انما لا صلة مباشرة بالقاعدة الاقتصادية مثل الماركسيّة . الا انه يمكن بوضوح اثبات صلاته غير المباشرة : فهو رد فعل على العلاقات الحضارية والأخلاقية التي يعيشها الانسان المجتمع . وأول ما يخطر في البال هنا هي العلاقات الجنسية، التي تطورت عن الاديولوجيات الجنسية الكنائسية . كانت الثورة البرجوازية في القرن التاسع عشر قد كثّفت نمط الانتاج الاقطاعي بجزئه الاكبر وتصدت بافكاراتها التحريرية للدين وقوانينه الاخلاقية . لكن القطيعة مع الاخلاق الدينية كانت قد

تمهدت في زمن الثورة الفرنسية ، وبدت البورجوازية تحمل بذرة أخلاق جديدة متعارضة مع الأخلاق الكنسية عامة والأخلاق الجنسية خاصة . ولكن ، كما أصبحت البورجوازية لاحقا ، بعد ان تدعمت سلطتها وتندعم اقتصادها الرأسمالي ، رجعية وعادت فتبنت الكنيسة ، لأنها تحتاج لاخضاع البروليتاريا التي نشأت في تلك الاثناء ، كذلك تبنت البورجوازية الاخلاق الجنسية الكنسية في شكل آخر نوعا ما ، لكن جوهريا دون تغيير . فاتخذ الآن لعن الشهوانية والزواج الاحادي وعفاف الفتاة وبذلك أيضا تشتيت الحياة الجنسية الذكورية معنى اقتصاديا جديدا ، رأسمايليا هذه المرة . والبورجوازية ، التي اطاحت بالاقطاعية ، تبنت الجزء الاكبر من الماديات الاقطاعية والعاجات العضارية ، وتحتم عليها ان تعبس نفسها هي أيضا بالقوانين الاخلاقية التي وضعتها هي نفسها ضد « الشعب » ، وقلصت على هذا المنوال الحاجات الجنسية بصورة متزايدة .

ضمن الطبقة البورجوازية يجري لاسباب اقتصادية تقييد الحرية الجنسية تقييدها تماما ، لا يستثنى منه الا عقد الزواج . والشبيبة الذكورية تبحث عن الارضاء الحسي للجنس لدى نساء وفتيات البروليتاريا . بذلك ويسبب التضاد الطبقي الايديولوجي تشنّد المطالبة بالعفاف من الفتاة البورجوازية . لقد شنّت من جديد وعلى الارضية الرأسمالية الاخلاق الجنسية المزدوجة . وكما في حلقة مفرغة تؤثر الاخلاق الجنسية المزدوجة تأثيرا مشتتا على الحياة الجنسية للرجل ، وتأثيرا مدمرا على الحياة الجنسية للمرأة ، التي تصبح بفعل منشئها وتطورها أيضا ضمن الزواج « عفيفة » جوانيا ، أي باردة ، وبالاحرى منفرة . وهذا يدعم ثانية الاخلاق المزدوجة ، فيتابع الرجل البحث عن الارضاء لدى الانثى البروليتاريه ، التي يحتقرها نتيجة وعيه الطبقي ،

ويضطر لأن يتظاهر نحو الخارج بـ « الأخلاق » كريمة . انه يشير داخلياً منذ قرينته ، ويظهر المعكس نحو الخارج ، ويزرع اديولوجيته في الان والبنت .

بيد ان الكبت والتحقير الجنسيين المستمررين يصيّران جديداً الى عنصر هدام مؤسسة الزواج وللإيديولوجيا الأخلاقية الجنسية . في البدء تأتي المرحلة الأولى من انهيار الأخلاق البورجوازية : الامراض النفسية تتزايد ازدياداً كبيراً . والعلم الرسمي ، الذي هو نفسه أسيء الكبت الجنسي ، يحتقر الجنس كموضوع للبحث ، وينظر الى الشعراً والكتاب ، الذين تشغلهم هذه المسألة الساخنة انشغالاً متزايداً يوماً بعد يوم ، نظرة ازدراء . ويفسر هذا العلم الامراض النفسية ، مثل الهستيريا والترفة العامة ، التي تتزايد وباستمرار ، على أنها « اوهام » ، وانها نتائج « لاجهاد العمل » . وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر ، كرد فعل على هذا العلم المأسور اخلاقياً وكعلامة على المرحلة الملحمية الثانية لانهيار الأخلاق البورجوازية ، في وسط الطبقة البورجوازية نفسها باحث يزعم ان الترفة المصرية هي نتيجة للاخلاق الجنسية العضارية (٥٤) ، وان امراض المصاب عموماً تعود في جوهرها التوعي الى التقيد الجنسي الزائد . وقد غدا هذا الباحث ، وهو فرويد ، مزدرى علمياً ، متبوعاً ، يعتبر مشعوذًا محتملاً . وقد أصر على موقفه وحيداً بمفرده ويقي لعشرات من السنين غير مسموع . في هذه الفترة ولد التحليل النفسي . فأي قرف وأية شناعة في نظر العالم البورجوازي برمته ، وليس في نظر العلم وحده ، ذلك لأن التحليل النفسي يمس جذور الكبت الجنسي الذي يمثل قوام كثير

(٥٤) فرويد : اخلاق الجنس « الحضارية » ، والترفة العصرية .  
بالاضافة الى مؤلفاته في نظرية المصاب .

من الاديولوجيات المحافظة ( الدين ، الاخلاق ) ٥٥ .  
لقد ظهر التحليل النفسي في الواقع الاجتماعي في وقت تبيّن  
فيه ضمن المعسكر البورجوازي نفسه ملامح حركة ثورية ضد  
اديولوجياته . فالشبيبة البورجوازية تحتاج على بيت الاهل  
البورجوازي وتخلق « حركة شبية » خاصة بها . المفزي الكامن  
لهذه الحركة هو النزوع نحو العرية الجنسية . ولكنها بتفوتها  
فرصة الاتصال بالحركة البروليتارية ، تض محل ، بعد ان حققت  
بعضا من اهدافها وأضحت عديمة الهمية . وهناك أصوات  
صحفية بورجوازية لبرالية تقوم ثانية بالهجوم المنيف على  
الوصاية الكنسية . ويبدا الادب البورجوازي باتخاذ موقف متزايد  
التصرّف في المسائل الاخلاقية . الا ان جميع هذه الظواهر التي  
رافقت جزئيا ظهور التحليل النفسي ، وسبقته في جزئها الآخر ،  
تتشابه ، حالما يندو الامر جديا . فما من أحد يتجرأ على التفكير  
بالمسألة الى نهايتها ، وعلى تحمل الواقع ، اذ ان المصلحة

٥٥) (١٩٢٤) وجهة النظر هذه يقبلها فرويد نفسه بالنسبة للدين فقط ،  
لكنه لا يقبلها بالنسبة للأخلاق . كان فرويد يعيد المقاومات التي يصادفها الى  
عقد طفولي وكبت لدى مؤلأه الذين يبدون هذه المقاومات . هذا صحيح ، ولكنه  
الاقل أهمية في الامر . فاولئك ، الذين حاربوا النظريات الفرويدية حول اللاشعور  
والتطور الجنسي الطفولي الخ على اشد ما تكون الممارسة ، يتصرفون تماما  
لا شعوريا كمثليين تنفيذيين لمصالح اجتماعية رجعية ، حتى لو كانوا ماركسين .  
فالقمع الجنسي يقف في خدمة التسلط الطبقي . وهذا القمع يعيد انتاج نفسه  
اديولوجيا وبنطويها في المسؤولين ، ويكون بهذه الهيئة اقوى سلطة غير مدركة  
بعد لاي نوع من القمع . والمجتمع البورجوازي يقاوم فرويد ، لانه ظهر انه يهدى  
وجود جهازها الاديولوجي تهديدا بالغا . ولم يدرك فرويد قط هذا السبب ، ولم  
يكن ليتظر بعين الرضى الى الكشف عنه . والاقتصاد الجنسي يتبع عمل التحليل  
النفسي على الصعيد الاجتماعي في الموضع المفوضة من معيطي التحليل  
النفسي .

الاقتصادية تنال الاولوية ، بل وانها استدعت حلفا بين الليبرالية  
البورجوازية والكنيسة ٠

ولما كانت الماركسية سوسیولوجيا هي التعبير عن وعي قوانين  
الاقتصاد ، قوانين استغلال الاكثريه من قبل الاقلية ، كذلك  
التحليل النفسي هو التعبير عن وعي القمع الاجتماعي للجنس ٠  
هذا هو المفهوم الاجتماعي الرئيسي للتحليل النفسي الفرويدي ٠  
الا ان هناك فرقا جوهريا . فيبينما احدى الطبقات تستغل والاخري  
تستغل ، فان الكبت الجنسي ظاهرة تشمل كلا الطبقتين . بل ان  
الكبت الجنسي ، تاريخيا ، اي بالنظرة الى تاريخ البشرية ، هو  
اقدم من استغلال طبقة من قبل الاخري . لكنه ليس متساويا من  
حيث الكم لدى كلا الطبقتين . في فترة التمايز الاول للبروليتاريا ،  
في بدايات الرأسمالية ، لم يكن هناك تقييدا او كبت جنسي لدى  
البروليتاريا (٥٦) ، استنادا الى المعلومات التي اوردها ماركس في  
« الرأسماли » وانجلز في « وضع الطبقة العاملة في انكلترا » .  
انما اصطبغ وتتأثر الشكل الجنسي بالحالة الاجتماعية البائسة ،  
كما هي الى اليوم لدى « البروليتاريا الرثة » . ولكن في مجرى  
التطور الرأسمالي عندما اتخذت الطبقة السائدة ، الى العد الذي  
يتطلبها واقعها وتتطلبها مصلحتها الربحية ، اجراءات سياسية  
اجتماعية . وبدأت تقوم بـ « رعاية » اجتماعية ، سرت الان وبصورة  
متزايدة برجزة اديولوجية لدى البروليتاريا . عن هذا الطريق  
امتد مفعول الكبت الجنسي الى البروليتاريا أيضا ، ولكن دون ان

---

(٥٦) (١٩٢٤) تحتاج هذه الصياغة الى التصحح . فالكبت الجنسي لم ينعدم لدى البروليتاريا ، انما كان موجودا بشكل اخر فقط ، بسبب الحالة الاقتصادية المختلفة . وحول هذا الموضوع ايضا ما زلنا نعرف القليل . فالطفل البروليتاري يمر بحرية جنسية كبيرة وبأشد القمع الجنسي في الوقت ذاته . وهذا يخلق بنية خاصة تختلف جذريا عن البنية البورجوازية الصغيرة مثلا .

يصل الامر هنا الى الابعاد التي وصلها لدى البورجوازية الصغيرة، فهذه أضحت بابوية اكبر من البابا ، واتبع المثال الاخلاقي لقدوتها البورجوازية الكبيرة بصرامة اكبر مما لدى البورجوازية الكبيرة نفسها التي تقوم منذ زمن بعيد بتصنفيّة اخلاقها في داخلها .

ان مصير التحليل النفسي في المجتمع البورجوازي يتراطّ مع مسألة موقف البورجوازية من الكبت الجنسي وازالته .

## ٢ - مكانة التحليل النفسي في المجتمع العاشر

المسألة المطروحة هي : هل تتحمل البورجوازية التحليل النفسي على مر الزمن ، دون ان تتضرر؟ طبعاً بشرط ان لا تتسمّع معارفه وصيّنه او ان يتسلّح معناه دون وعي من ممثليه .

ان ميدع التحليل النفسي ذاته يتبناً للتخليل النفسي مستقبلاً طيباً . لقد رأى ، ان العالم سوف يقضي بشكل ما على اكتشافاته ، لانه لا يستطيع تحملها . من الواضح انه ذكر اذ ذاك بالنصف فقط ، بالطبيقة البورجوازية ، فالبروليتاريا لم تكن تعلم شيئاً بعد عن التحليل النفسي ، لم تكن قد سمعت به بعد . وبينما لا نقدر ان نعرف بعد ، كيف سيكون موقف البروليتاريا من التحليل النفسي ، فان لدينا ما يكفي من الدلائل لندرس موقف العالم البورجوازي .

---

(٥٧) (١٩٣٤) لم تدع التطورات منذ ذلك الوقت مجالاً للشك ، بأن العامل غير المحسد يستقبل اكتشافات التحليل النفسي منذ البداية بتفهم طبيعي ، على القبيح من العضو العمالي المترقي . الا ان على المرء ان لا يوصل التحليل النفسي بمصطلحات تحليلية نفسية ، بل ان يبرز بوضوح الواقع من الحياة الجنسية للجماهير . وقد اثبتت حركة السينكسيبول الالمانية القوة السياسية للنظريّة الجنسية العلمية الطبيعية . انظر في هذا الصدد تاريخ حركة السينكسيبول في مجلة علم النفس السياسي ، ١٩٣٤ .

وكون التحليل النفسي مرفوضا ، مترابط ترابطا مباشرا مع الاممية الاجتماعية للكبт الجنسي . ولكن ماذا يصنع العالم البورجوازي بالتحليل النفسي ، اذا لم يلعنه ؟ اماننا من جهة العلم ، وقبل كل شيء علم النفس والطب النفسي ، ومن جهة أخرى الجمهور غير المختص . على أي من البهتين المذكورتين يصح ما عبر عنه فرويد مرة بصورة مازحة ؟ لقد قال ، ان ما يدعوه للتساؤل هو هل 'يقبل التحليل النفسي للحفاظ عليه أم لتعطيمه . وعندما يصادف المرء التحليل النفسي في أى ، وليس في رؤوس ، غير مؤهلة حقا تأهيلا تحليليا ، عندئذ لن يتمتع المرء فيها ثانية اعمال فرويد . يقولون 'شلة العيادة الجنسية صحية ، ولكن هذه المبالغات ٠٠٠ وأين الجانب الاخلاقي في الانسان ؟ التحليل صحيح جدا ، ولكن ٠٠٠ الجمعية★) ليست اقل ضرورة . وعندما بدأ فرويد ببناء سيكلولوجية الانما على نظريته الجنسية ، تنفس العالم العلمي الصدام بصوت مسموع : اخيرا بدأ فرويد بتضييق لا معقولياته ، اخيرا جاء الدور في الكلام على « أسمى » ما في الانسان ، وبالاخص ، الاخلاق ٠٠٠ ولم يدم الوقت طويلا ، حتى طرق المسامع الحديث عن 'مثل الانما ، والجنس ، كما تقول العيادة المعتادة ، أمر « مفترض بدهيا » . وجرى الحديث عن عهد جديد للتحليل النفسي ، عن عهد نهضة وبعث ٠٠٠ بعبارة واحدة . وليس الامر أكثر عزاء ، بل انه مدعوة أكثر للاشمئزاز ، لدى

---

(\*) الجمعية يعني *Synthesis* . مصطلح عربي مقبول جاء في قاموس « المورد » . - الترجم .

(٥٨) (١٩٣٤) وقد تأكّد هذا وذاك بصورة ماساوية من خلال التغليق المتسارع عن النظرية الجنسية (أدлер - بوونغ) . هذه الواقعية تستحق عرضها معينا : التغليق عن نظرية الجنس حتى ضمن التحليل النفسي .

الجمهور المريض . فتحت ضغط الاخلاق الجنسية البورجوازية ساوير هذا الجمهور ان التحليل النفسي مجرد موضعة لتلبية الشهوانية . وطبق كل واحد يحلل للآخر عقده ، ويتحدث في الصالونات في جلسات شاي العصر ونية عن رموز الاحلام ، ويجادل دون أدنى معرفة بالامر ، ولمجرد ان الحديث يدور حول الجنس ، مع او ضد التحليل النفسي : أحدهم متخصص بهذه « الفرضية » الرائعة ، والآخر ليس أقل تبعجا ، مقتنع بان فرويد مشعوذ محatal وان نظريته فقاعة صابون ، ولا سيما « هذه المبالغة الوحيدة الجانب للجنس ، كما لو انه لا وجود لشيء آخر أكثر سموا من الجنس » . يقول « اكثرا سموا » مع ان هذا « الناقد » لا يتحدث عن شيء آخر غير الجنس . في اميركا تشكلت جملة من الروابط ونادي النقاش حول التحليل النفسي . فالحالة الاقتصادية جيدة ، وينجح الاستفادة منها . وهكذا ينهي المرء حياته الجنسية غير المشبعة ، ويكسب علاوة على ذلك كثيرا من المال بحقيقة تجرأت ان تسمى نفسها « تحليلا نفسيا » . لقد أصبح « التحليل النفسي » تجارة رائجة . هكذا تبدو الامور خارج ميدان التحليل النفسي . وفي الداخل ؟ – حركة تساقط بعد تساقط ، والباحثون لا يصدرون أمام ضغط الكبت الجنسي . ويونغ يوقد النظرية التحليلية بأكمالها على الرأس ويجعل من ذلك دينا حيث لم يعد يذكر الجنس بتاتا<sup>٥٩</sup> ) . كذلك يفضي الكبت الجنسي لدى آدلر

(٥٩) (١٩٢٤) لم يظهر يونغ الا منذ قليل كولي امر الفاشية في مجال التحليل النفسي . والرابطة الدولية للتحليل النفسي ليس لديها ادنى علم بالمعنى والمصدر الاجتماعي الحضاري لهذه الاحداث . بل انها تقاوم مثل هذا الكشف . ويمكن اثبات ان جميع حركات التساقط داخل اطار التحليل النفسي لها قاسم مشترك واحد وهو أنها تبدأ بالتناقض بين نظرية الجنس التحليلية والنمط البورجوازي لحياة المحليين ، سواء دار الموضوع حول مسائل التطهير التحليلي ←

الى مقوله ، ان الجنس شكل تظاهر فيه اراده السيطرة ، وبالتالي الى الارتداد عن التحليل النفسي وتأسيس جماعة اخلاقية . وعلى هذه الطريق وصل رانك ، الذي كان من أنجب تلامذة فرويد ، الى تبييع مفهوم الليبido ، الى نظرية الرحم وحمل الولادة ، والى ان ينكر أخيراً المعرف التحليلية الاساسية . دائمًا من جديد يفعل الكبار الجنسي فعله بالتحليل النفسي . فيما عدا ذلك يمكن للمرء ان يرى أيضًا ضمن دائرة التحليل النفسي ذاتها الارتباط الاجتماعي والاقتصادي في اعمالها المخففة المطلقة ذات العلول الوسيط . وبعد ان ظهر بعث « الانا والهو » مرت عدة سنوات دون ان يجري اي حديث حول الليبido . انهم يحاولون اعادة صك نظرية الامراض المصابية باكمالها في مصطلحات الانا ، ويفعلنون ان اكتشاف الشعور بالذنب الا شعوري ، ولا شيء آخر ، هو الانجاز العظيم لفرويد ، وانهم الآن فحسب قد أوغلوا في الامور الصميمية والاساسية .

وفي مجال علاج المصاب ، حيث يدور الامر حول تطبيق عملي لنظرية لا شك ثورية على الانسان في المجتمع الرأسمالي ، يظهر الميل الى حل وسط والى الاستسلام امام اخلاقي الجنس البورجوازية على اوضاع ما يمكن . فالوضع الاجتماعي للمعلم تمنعه ، وبالاخرى يجعل من المعالج عليه ، ان يصرح امام الملا باللاتوافق بين الاخلاق الجنسية العالية ، الزواج والاسرة البورجوازية والتربية البورجوازية ، والمعالجة التحليلية النفسية المتطرفة لامراض المصاب . ومع انه يجري من جهة الاعتراف بأن العلاقات

► (رانك ، مشتيلك ) او حول مفاهيم في النظرية (آدلر ، يونغ ) . وهذا الامر يحتاج الى عرض معمق ، لانه يتضمن بما لا يجاري الاهمية الاجتماعية للتخليل النفسي .

الاسوية لا امل يرجى منها . وان وسط المريض هو عادة اكبر معيق لشفائه ، الا انهم يتهدبون – لامر مفهوم جيدا – من تحمل مسؤولية هذا الاثبات العلمي . ويصل الامر الى ان المرء يفهم من مبدأ الواقع والتكييف مع الواقع ، لا الفاعلية في الواقع ، بل الخضوع التام لنفس المتطلبات الاجتماعية التي أنتجت المصاب . وانه للموس لس البد ان هذا التطبيق العملي للتحليل النفسي غير ملائم لمداواة المصاب .

وهكذا فان نمط الوجود الرأسمالي للتحليل النفسي يخنق التحليل النفسي من الخارج ومن الداخل . ويبقى فرويد محقا : علمه يألف ، – ونحن نضيف : في المجتمع البورجوازي مؤكدا ، اذا لم يتكييف التحليل النفسي معه . واذا ما تكيف معه ، فإنه عندئذ يلاقي نفس الموت الذي لاقته الماركسية لدى الاشتراكيين الاصلاحيين ، وهو موت بالتسطيع ، وقبل كل شيء الموت عن طريق اعمال نظرية الليدو . والعلم الرسمي سيبقى كما كان لا يريد ان يعرف شيئا عن التحليل النفسي . والمحللون المتأثرون، بالنظر لانتشار التحليل ، يخطئون خطأ فادحا . وهذا الانتشار بالذات هو اشاره البعد لا قوله .

وبما ان التحليل النفسي ، معلقا دون تمييع ، يودي بالآيديولوجيات البورجوازية ، وبما ان الاقتصاد السياسي الاشتراكي يمثل قاعدة الازدهار السحر للمقل والجنس ، فان التحليل النفسي لا مستقبل له الا في الاشتراكية (٦٠)

(٦٠) لم يستطع التحليل النفسي ان يزدهر في الاتحاد السوفييتي . لقد لاقى هناك نفس الصعوبات التي لاقاها في البلدان البورجوازية، مع فارق واحد هام جدا ، وهو ان المحللين كأشخاص مفردين يقتلون هناك وظائف هامة . غير ان التحليل النفسي بقي ضامرا على الصعيد الاجتماعي . والاحتمال الاكبر ان هذا يعود الى ان زعماء الاتحاد السوفييتي لم يدركوا او لم

### ٣ - مهمة التحليل النفسي في الاشتراكية :

كما رأينا ، لا يستطيع التحليل النفسي ان يطور انطلاقا من ذاته نظرة الى العالم ، وبالتالي لا يستطيع ان يجعل محل اية نظره الى العالم . لكنه يستتبع اعادة النظر بالقيم ، يقوض في الدين تطبيقه العملي لدى الفرد ويحطم الایديولوجيات الجنسية البورجوازية ويفجر الحياة الجنسية . الا ان هذه بالذات هي الوظائف الایديولوجية للماركسيّة .

فالماركسيّة تطبيع بالقيم القديمة عن طريق الثورة الاقتصاديّة والنظرة الماديّة الى العالم ، والتحليل النفسي يفعل او يمكنه ان يفعل الشيء نفسه ، من الناحية النفسيّة . ولكن ، بما انه يتحتم على التحليل النفسي ان يبقى اجتماعيا دون مفعول في المجتمع البورجوازي ، فإنه لا يستطيع ان يتحقق هذا المفعول قبل انجاز الثورة الاجتماعيّة . هناك بعض المحللين يعتقدون ان التحليل النفسي قادر على طريق التطور ان يتقلب العالم وان ينوب عن الثورة الاجتماعيّة . هذا طوباويّة تستند الى جهل تام بالواقع الاقتصادي والسياسي (٦١) .

يدركوا بعد التناقض الذي تتوارد فيه الثورة الثقافية والجنسية هناك . هذا الحق من المشكلات شامل وغني بالشكالية لدرجة انه لا يمكن هنا الزيادة على ما قيل . وعندما يقر ستالين ، كما سمعت ، بان تقويم الانسان على النقيض من تقويم الاقتصاد لا يمكن انجازه ، فإن هذا ، فيما لكل ما في جعبتنا من المعارف ، يعود الى عدم القيام باعادة هيكلة الانسان جنسيا . اذن اعلم اي استثناء سيثيره هذا الزعم ، لكنني لا استطيع الان ان افضل اكثر من ان اعزى النفس بدراسة جذرية لهذه المشكلة ، وامل ان لا يكون في مستقبل بعيد جدا نضوج الموضوع بما فيه الكفاية ، بحيث يمكن وضع النتائج امام الملا .

(٦١) ان الرأي ، بان التحليل النفسي لا يسرى مفعوله كقوس اجتماعيّة قبل انجاز الثورة ، كان تنازلا قصيرا النظر من قبل امام الماركسيّة الاقتصاديّة اليسارية المطرفة . والتجارب في المانيا ، وخاصة رد الفعل المبالغ

←→

ويبدو ان الاهمية الاجتماعية المستقبلية للتحليل النفسي تبرز في ثلاثة ميادين :

١ - في تقسيي التاريخ البدائي للانسان كعلم مساعد ضمن اطار المادية التاريخية . والتاريخ البدائي ، مكثفا في الاساطير والتقاليد الفولكلورية وعادات الشعوب البدائية المتبقية الى اليوم ، لا يمكن لعلم الاجتماع الماركسي منهجا ان يروده . وعمل التحليل النفسي لا يمكن ان يكون ناجعا الا اذا كان تأهيل المحللين السوسيولوجي والاقتصادي جذريا واذا جرى التخلص عن النظرة الفردانية والمثالية للتطور الاجتماعي .

٢ - في ميدان الصحة النفسية ، التي لا تقبل التطوير الا على ارضية الاقتصاد الاشتراكي وعلى ارضية اقتصاد منظم ، تصبح ايضا المطالبة باقتصاد ليبدو منظم في التدبير المنزلي النفسي ، وهو امر مستبعد بالنسبة للجماهير في اشكال العيش البورجوازية وفيما عدا ذلك لا يدخل في الحسبان الا بالنسبة لبعض الافراد . هنا فحسب تجد المعالجة الفردية لامراض العصاب مجال فعلها المناسب .

٣ - في ميدان التربية باعتبار التحليل النفسي قاعدة سيكلولوجية للتربية الاشتراكية عموما . ونظرا لمعارفه حول التطور النفسي لدى الطفل ، يتوجب النظر الى التحليل النفسي على انه لا غنى عنه . وهو كعلم مساعد لعلم التربية محكم عليه في المجتمع البورجوازي بالجذب او بما هو أسوأ . وبما ان المرء

↳

لشببية جميع الدوائر على اولى المحاولات السياسية الجنسية لتأسيس الحياة الشخصية ، قد علمت ان التلطيف السيكلولوجي الجماهيري للتناقضات بين الحاجات الجنسية والروادع الاخلاقية يصير الى رافعة للعمل الثوري هامة ومركبة من الناحية السياسية الحضارية . انظر عرض الاشكالية السياسية الجنسية في : « سيكولوجيا الجماهير في الفاشية » ، ١٩٣٤ ، الطبعة الثانية .

لا يستطيع في هذا المجتمع ان يربى الا من اجل هذا المجتمع ، اذ ان التربية من اجل مجتمع آخر تبقى في المجتمع البورجوازي عملياً وهية ، لا يمكن للتربية التحليلية النفسية ان تطبق قبل الثورة الاجتماعية الا بذهنية المجتمع البورجوازي . والمربيون التحليليون النفسيون الذين يأخذون في هذا المجتمع على عاتقهم تغييره ، يجوز ان يلقوا مع مرور الزمن ذلك المصير ، الذي يلقاءه قس يزور وكيل شركة تأمين جاحدا بالله ، على فراش الموت من اجل رد اليمان الى قلبه ، فيخرج من عنده دون فعل شيء آخر غير انه قد أمن على نفسه . ان المجتمع أقوى من مطامع فرادي اعضائه .

### حول تطبيق التحليل النفسي في الابحاث التاريخية

ان البحث في تكوين البنية النفسية هو وظيفة علم النفس الملمي – الطبيعي . وبهذه الصفة لا يدخل في الاعتبار الا علم نفس يحوز على المناهج الفضوروية لادراك وشرح ديناميكية واقتصادية العملية النفسية . وقد حاولت ، فيما كتبته حول صفات التحليل النفسي باللادية الجدلية ★) ، اثبات ان التحليل النفسي هو البذرة التي ينشأ عنها وينمو علم نفس مادي جدلبي . وبما ان النظرة البورجوازية الى العالم لدى علماء الطبيعة 'تعنى بأن تتعذر في الفروع العلمية الخمسة بهؤلاء العلماء تشوهدات وأباطيل ، فان النقد المنهجي يتعذر مدخل آية محاولة لعلم نفس مادي جدلبي . لقد رفضت ان تكون هناك آية امكانية لاستئناف علم اجتماع من التحليل النفسي . ذلك لأن منهج علم النفس ، مطبقا على وقائع العملية النفسية ، يقود حتما الى تنتائج ميتافيزيكية ومثالية ، وقد قاد فعلا الى ذلك . وقد سبب لي هذا الموقف تهجمات قاسية من طرف المعلمين النفسيين المتبعين « للسوسيولوجيا الوحشية » . وبقدر ما كان واضحاً أمامي في ذلك الوقت ، بأنه لا يمكن تطبيق أي منهج نفسي على المشكلات السوسيولوجية ، كذلك كان من جهة أخرى ثابتنا بكل تأكيد ، ان علم الاجتماع لا

(\*) انظر المقدمة والفصل الثلاثة السابقة من هذا الكتاب . - المترجم .

يستطيع التخلّي عن علم النفس ، حالما يدور الامر حول مسائل ما تسمى «الانشغال الذاتي» للانسان وتكونين الايديولوجيا . وعندما وجدت أخيرا صيغة مرحلية حاولت بها ان احدد لعلم النفس موضعه ضمن علم الاجتماع ، هاجمني سابير متها ايدي بانني قد ناقشت نفسي . وبما اتنى بالذات انكرت تطبيق التحليل النفسي في علم الاجتماع ، لكنني من جهة اخرى حددت له موضعا فيه ، فإنه لم يكن من الصعب ان تلصق بي تهمة التناقض . بالطبع كان الامر أسهل بالنسبة لنادي مما هو بالنسبة لي . بعضهم كان يتتابع خالي البال تحضير «سوسيولوجيته التحليلية النفسية» التي تكللت قبل فترة وجيزة بمقولة ان وجود الشرطة يفسر بحاجة الجماهير الى القصاص . البعض الآخر سوئ هذه المشكلة الموصيّة برمتها بمقولة بسيطة تشهد عدم المناء وعدم التحضير لايضاخ المشكلات ، وهي ان التحليل النفسي هو فرع «مثالي» «وأن أفضل ما يفعله المرء هو ببساطة عدم الاهتمام به . ولا شك ان بعض النقاد ، مثل سابير ، قد وقعوا في تناقض مع أنفسهم ، عندما اضطروا في الوقت ذاته ان يقرروا بأن التحليل النفسي قد قام بمجموعة من الاكتشافات الاساسية ، وأنه قد شكل أفضل نظرية جنسية وأنه اكتشف اللاشعور والكت الجنسي وما شابه من العملية النفسية . أما سؤالي ، كيف من الممكن ان يقوم فرع مثالي باكتشافات هامة ، فقد بقي دون جواب .

ويتسم النقاش حتى الان حول الاهمية السوسيولوجية للتحليل النفسي بمقابل رأيين : أحدهما يرى ان التحليل النفسي باعتباره سيكولوجيا فردية لا يستطيع ان يفسر ما هو مجتمعي ، والآخر يرى ان التحليل النفسي ليس سيكولوجيا فردية فحسب ، بل أيضا سيكولوجيا اجتماعية ولذلك فهو معنى جدا بالواقع الاجتماعية . ومن الواجب ان نلاحظ ، ان النقاش قد دار كلاميا ، دون القيام

بائية محاولة لاختبار الاقوال على محك الواقع الفعلية . وعندما رفضت شخصيا في عام ١٩٢٠ تطبيق منهج التحليل النفسي على الامور الاجتماعية ، فقد استندت الى تطبيقات منهج التحليل النفسي في السوسيولوجيا ، التي كانت حتى ذلك الوقت تجري من طرف التحليل النفسي ، والتي كانت تتناقض تناقضا صارخا مع التطبيقات الماركسية ، والتي ثبت خطأها . وقد كان واضحا ، أن للتحليل النفسي كلمة ذات ثقل تقولها في علم الاجتماع ، ائما المسألة هي ، كيف يمكن للمرء أن يتتجنب الامموقولات التي نتجت حتى الآن، أي الطرق على المرء أن يسلك حتى يحصل على الكنز، المرئية في الحقيقة ، ولكن صعبة المنال مرحلينا . حقا، لقد رفضت في «اللواء» تطبيق منهج التحليل النفسي في علم الاجتماع ، الا أن تطبيقنا مرحلينا استدعي أن يتمهمني سابير بأنني لا أثبت على رأي . لقد كتبت :

« بيد أن هذه التأملات تسمح بالافتراض ، أن التحليل النفسي مهيا بفضل طريقته لاماطة اللشام عن الجذور الدوافعية لفعالية الفرد الاجتماعية ، وبفضل نظريته البديلة في الواقع مهيا لاستجلاء دقائق الاثر النفسي لملاقات الانتاج في الفرد . هذا يعني أنه مهيا لأن يشرح شرحا مفصلا تكوين الاديولوجيات » في رأس الانسان » . وفيما بين القابين : البنية الاقتصادية للمجتمع والبناء الفوقي الاديولوجي، اللذين استقصى المفهوم المادي للتاريخ بصورة عامة صلتها السببية ، يدرج الاستيعاب التحليلي النفسي لسيكولوجيا الانسان الجمعن جملة من المفاصل . بامكانه أن يبين ، أن البنية الاقتصادية للمجتمع لا يجري نقلها الى « رأس الانسان » كadiولوجيا مباشرة ، بل ان الحاجة النذائية، التي تتعلق بالملاقات الاقتصادية المعنية في اشكال تعبيرها ، تؤثر معدلة على وظائف الطاقة الجنسية التي هي أكثر طواعية بكثير من الحاجة النذائية .

كما يامكانه أن يبين ، أن التأثير الاجتماعي على الحاجة الجنسية عن طريق تقييد أهدافها يدخل في عملية العمل الاجتماعية على الدوام قوى انتاجية جديدة على شكل ليبدو مصعد ، جزء منه يكون مباشرا على شكل قوة عمل ، وجزء يكون غير مباشر على شكل نتائج أكثر تطورا للتصعيد الجنسي ، مثل : الدين ، والأخلاق عموما والأخلاق الجنسية خصوصا ، والعلم الخ . هذا يعني ادراجا حكيميا للتحليل النفسي ضمن المفهوم المادي للتاريخ عند نقطة محددة بالضبط موافقة له ، أي هناك حيث تبدأ المشكلات النفسانية ، التي كشفت عنها مقوله ماركس المتضمنة أن نمط الحياة المادي يتحول في رأس الانسان الى أفكار . فعملية الليبido في التطور الاجتماعي هي اذن ثانوية ، تابعة لهذا التطور ، وان كان الليبido بدوره يتدخل في هذا التطور تدخلا حاسما ، من حيث أن الليبido المصعد كقوة عمل يصير الى قوة انتاج » .

كان بوسعي اليوم أن أصبح بعض ما قلته بشكل أفضل ، كذلك ما كنت لاعتبر الدين والأخلاق تصعیدا للدافع . في ذلك الوقت تراءت لي الواقعه البسيطة ، التي تعلمت مذاك أن أشننا أكثر بكثير من السابق ، وهي أن البنية النفسية لعاملة المسيحية التي تناصر حزب المركز أو الفاشية والتي لا يمكن بأية مساعي اعتيادية ردھا عن اتجاهها السياسي ، يجب أن تكون من نوعية تختلف عن البنية النفسية لعاملة شيوعية . ان تبعيتها المادية والسلطية للابوين في طفولتها وللبيع في كبرها قد أرغمتها أن تكتب مطالبها الجنسية ، ومن خلال ذلك سقطت فريسة التوجس الخلقي ، الذي يمكن اثباته بسهولة ، وفريسة النفور الجنسي ، وهذا ما يجعلها غير قادرة على الاطلاق أن تستوعب الشعار الشيوعي حول تحرير المرأة لمصيرها . كما ان كيتها الجنسي ، الذي تجاوز حدا معينا أو الذي صيغ بأشكال معينة ، يربطها ربطا وثيقا بالكنيسة وبالنظام

الاجتماعي و يجعلها غير قادرة على النقد .

ولا تتجلّى أهمية هذه المسألة حسراً في حقيقة أنه يوجد الملايين من شاكلة هذه المرأة . فالامر أبعد من ذلك ، اذ ثبت أن تفكيراً كهذا لا يقوم على شيء من «التفببية» أو «التمويه»، بل على تعديل جذري للبنية الانسانية بما ينسجم مع النظام السائد . ونظراً للخطورة العملية لهذه المسائل وأمثالها من مسائل السيكولوجيا الجماهيرية ، لم استطع الرضوخ للاحتجاج اصدقاء ماركسيين ، وأرد مباشرة على نقد ساوير رداً نظرياً . فالمناقشات النظرية قمينة بأن تصبح عقيمة ، اذا لم تقف على أرضية مسائل ملموسة عملية . علينا أن نرغم الآخرين على أن يحكموا على أهمية التحليل النفسي في الصراع الطبقي انطلاقاً من مسائل افراادي للحركة السياسية . وبالفعل فقد أثبتت هذه الطريق نفسها على أنها هي الاصلح ، سواء من ناحية النظريات الميتافيزيكية في التحليل النفسي أو من ناحية الادراج النظري للتحليل النفسي في الابحاث التاريخية الماركسيّة .

هذا الادراج يجب أن ينطلق من المعرفة الواضحة ، بأن المسائل السوسيو-لوجية لا يمكن التصدي لها بالطريقة السيكولوجية . ومع ذلك فهوسمها أن تخلق امكانية كبيرة لاغذاء الابحاث الماركسيّة في التاريخ والسياسة عن طريق الاستعمانة بمعارف التحليل النفسي (لا بمنهج ) ، وذلك في ميادين معينة مثل تكوين الادبيولوجيا والتاثير المكسيّي للادبيولوجيا وغير ذلك . وهذا ما يقطع على السيكولوجيين غير المؤهلين سوسيو-لوجيا الطريق الى علم الاجتماع وبرغمهم على التمكّن من منهج البحث التاريخي . وفي نفس الوقت يرغم الاقتصاديين على ادراك تناقضهم عندما يتجدّثون عن الوعي الطبقي .

اذن ، فإذا ما قال بعض المعلّمين لي اليوم ، أنتي خفت من

موقفي الصارم المتمثل في استبعاد التحليل النفسي عن البحث السوسيولوجي ، بأن تناولت شخصيا ظواهر جماهيرية من «وجهات نظر» تحليلية نفسية ، فإنه يتوجب علي أن أرجوهم أن يعودوا إلى ما كتبته في عام ١٩٢٩ ، ليتأكدوا أن قولهم غير صحيح . لقد كتبت وقتكاك :

«الموضوع الأصلي للتحليل النفسي هو الحياة النفسية للإنسان المجمعن . أما الحياة النفسية للجمهور فلا تدخل في نطاق بحثه ، إلا بقدر ما تتجلّى ظواهر الفردية في الجمهور ( مثل مشكلة الرعيم ) ، وكذلك بقدر ما يستطيع التحليل النفسي توضيح ظواهر «النفس الجماهيرية » اعتمادا على خبراته المكتسبة على مستوى الفرد ، مثل الخوف والذعر والطاعة وغيرها . إلا أنه يبدو ، كما لو أن التحليل النفسي بالكاد يستطيع الغوص في طاهرة الوعي الطبيعي . ولا يمكن لمشكلات مثل العركات الجماهيرية والسياسية والاضربات ، التي تخصل علم الاجتماع ، أن تكون مواضيع لطريقته . فهو لا يستطيع اذن أن يحل محل علم الاجتماع ، كما لا يمكن أن يطور من ذاته علم اجتماع » .

لقد أصبح واضحا من مناقشاتنا حتى الان ، أن هذه الاقوال ما زالت محققة ولا تحتاج من بعد الا إلى بعض الدقة . فما زلت لا نستطيع تأويل المشكلات الاجتماعية بالتحليل النفسي . هذا يعني أن هذه المشكلات لا يمكن أن تكون مواضيع لنهج التحليل النفسي . أما مسألة الوعي الطبيعي فقد كانت آنذاك غير واضحة ، ولذلك فقد وردت عبارة « يبدو كما لو ... » . إنما اليوم أصبح بوسعنا أن نقدم صيغ علمية أكثر تحديدا في هذا المجال .

وقد تبين في مجرى الخبرات التالية ما كنت في «اللواء » قد نوهت به فحسب ، أن الشرط الأول للاستيعاب النساني لمشكلة الوعي الطبيعي هو التفريق العاد بين الجانب الموضوعي والجانب

الذاتي . كما تبين ان المناصر الايجابيه للوعي .  
الدافع لديه غير قابلة للتداویل بطريقة التحليل النفسي ، بالمقابل  
فان معيقات هذا الوعي لا تفهم الا سيكولوجيا لأنها تتحدر من منابع  
الاعقلانية .

كان نقادى وما زالوا غالباً متسرعين في أحکامهم . فعندما  
يطرق العلم ميداناً جديداً ، يتعتمد عليه في البدء أن يزيح من أمامه  
كثيراً من المفاهيم القديمة ، لكي يتأمل الاشياء من جديد دون  
افتراضات مسبقة . في صيفه الاولى سيعرض بالتأكيد هذه النقطة  
او تلك بصورة خاطئة . فمن أجل علم نفس ماركسي صحيح ،  
يتوجب على المرء أولاً أن يتوقف عن تطبيق تقيية التداویل التحليلية  
النفسية في الميدان السوسيولوجي . عندئذ فقط يمكن للمرء أن  
يقرر ، كم من المقلانية وكم من الاعقلانية يمكن في اشكالية  
الوعي الطبيعي ، هذا يعني ، ما هو العجم الذي يمكن للمرء أن  
يعطيه للتداویل الظواهر الاعقلانية . وعلى سبيل المثال ، عندما  
اقوم بتداویل الارادة الثورية على أنها تمرد على الأب ، فانني  
اسقط في اديولوجيا الرجعية السياسية . ولكن عندما أتفحص  
عيانياً ، الى أي مدى تتطابق الارادة الثورية مع الحالة المقلانية ،  
والى أي مدى يمكن نقص هذه الارادة لاعقلانياً حيث تتطابق  
الارادة الثورية بالفعل تمرداً لاشعورياً على الأب ... ، عندئذ  
اكون قد دحضت العلم البورجوازي « الخالي من الافتراضات  
المسبقة » ، وأكون قد أنجزت شخصياً عملاً علمياً أصيلاً ، وقدمت  
بهذا خدمة للحركة العمالية ، لا للرجعية السياسية . فالعلم  
الماركسي ليس غير كشف نزير للعلاقات الواقعية .

وان لوضوح المنهجية لدى ادراج التحليل النفسي في الابحاث  
التاريخية أهمية حاسمة بالنسبة لنتائج اية دراسة . لذلك من الهم  
ان نهتم عن كثب بالفقد الذي مارسه فروم في مؤلفه « حول منهج

ومهام سيكولوجيا اجتماعية تحليلية « على مؤلفي « المادية الجدلية والتحليل النفسي » ، كتب فروم : « من الواجب القيام بمحاولة لايجاد المفرز الغني والسبب لأنماط السلوك اللاعقلانية المفتلة في الحياة الاجتماعية ، كما تعبير عن نفسها في الدين والمادات الشعبية وكذلك في السياسة والتربيـة ، وذلك بواسـلـلـ التـحلـيلـ النفـسيـ ٠٠٠ . واذا كان (التحليل النفسي) قد وجد في الحياة الدوافعـةـ ، أيـ فيـ الـلاـشـعـورـ ، المـفتـاحـ لـفـهـمـ السـلـوكـ الانـسـانـيـ ، فمنـ المـعـتـمـ اذـنـ انـ لهـ الحـقـ فيـ /ـ وـأـنـهـ قادرـ عـلـىـ الاـدـلـاءـ بماـ هوـ جـوـهـرـيـ منـ الرـأـيـ حولـ خـلـفـيـاتـ السـلـوكـ الـاجـتمـاعـيـ . ذلكـ أـنـ «ـ المـجـتمـعـ »ـ يـتـالـفـلـفـ منـ فـرـادـىـ مـنـ الـاقـرـادـ الـذـينـ لاـ يـمـكـنـ أـنـ يـخـضـعـواـ لـقـوـانـينـ سـيـكـوـلـوـجـيـةـ غـيرـ الـتيـ اـكـتـشـفـهـاـ التـحلـيلـ النفـسيـ فـيـ الـفـرـدـ . لذلكـ يـبـدـوـ لـنـاـ أـنـهـ غـيرـ صـحـيـعـ ، كـماـ فعلـ فـ . رـايـشـ ، أـنـ يـجـزـ لـعـلـ النـفـسـ مـيـدـانـ سـيـكـوـلـوـجـيـاـ الـفـرـدـ وـأـنـ يـعـارـضـ مـنـ حـيـثـ الـاسـاسـ فـيـ صـلـاحـيـةـ عـلـ النـفـسـ لـلـاستـخـدـامـ فـيـ الـفـلـوـاهـرـ الـاجـتمـاعـيـ ، مـثـلـ الـسـيـاسـةـ وـالـوعـيـ الـطـبـقـيـ وـغـيرـ ذـلـكـ . وـحـقـيـقـةـ أـنـ ظـاهـرـةـ ماـ تـعـرـيـ مـعـالـجـهـاـ مـنـ قـبـلـ عـلـ الـاجـتمـاعـ لـأـتـمـنـيـ بـأـيـ شـكـلـ أـنـ هـذـهـ ظـاهـرـةـ لـأـيمـكـنـ أـنـ تكونـ مـوـضـوـعـاـ لـلـتـحلـيلـ النفـسيـ (ـ كـماـ أـنـ لـيـسـ صـحـيـعـاـ ، أـنـ مـوـضـوـعـاـ يـدـرـسـ مـنـ مـنـظـورـاتـ فـيـزـيـائـيـةـ ، لـأـيـجـوزـ أـنـ يـدـرـسـ مـنـ مـنـظـورـاتـ كـيـمـيـائـيـةـ )ـ . اـنـ ذـلـكـ يـعـنـيـ فـقـطـ ، أـنـ بـقـدـرـ مـاـ تـلـعـبـ الـوـقـائـعـ النـفـسـيـ دـوـرـاـ فـيـ ظـاهـرـةـ ، فـاـنـهـ تـكـونـ مـوـضـوـعـاـ لـعـلـ النـفـسـ وـخـصـوـصـاـ لـعـلـ النـفـسـ الـاجـتمـاعـيـ الـذـيـ عـلـيـهـ أـنـ يـثـبـتـ الـدـالـلـاتـ وـالـخـلـفـيـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ لـلـظـاهـرـةـ النـفـسـيـةـ )ـ .

وللاسف فقد قصر فروم استشهاده على خاتمي ، ولم يستشهد بصيغـيـيـ الإـيـضـاحـيـ بـخـصـوـصـ المـكـانـ الـذـيـ عـلـيـ التـحلـيلـ النفـسيـ أـنـ يـحـتـلـهـ وـيـمـكـنـ لـهـ أـنـ يـحـتـلـهـ وـحـدهـ فـيـ الـبـحـثـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـ ، وـهـوـ أـنـ يـبـيـنـ كـيـفـ يـتـحـوـلـ مـاـ هـوـ مـادـيـ فـيـ رـأـسـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ شـيـءـ مـعـنـيـ .

ومن الواضح أن التحليل النفسي ، هو وحده دون غيره ، يستطيع أن يفسر أنماط السلوك الاعتلانية ، مثل الأمور الدينية والمحرية من شتى الأنواع، ذلك لأنه وحده قادر على تقصي ردود الفعل الدوافعية في اللاشعور . وهو لن يقدر على ذلك بشكل صحيح ، اذا قصر اهتمامه على « الموارم الاقتصادية » ، بل اذا حسب تمام العسبان لأن البني اللاشعورية التي ترجع لعقلانيا قد نشأت هي ذاتها من خلال عمليات اجتماعية اقتصادية تاريخية . واذن لا يجوز بأية حال وضع التفسير من خلال أواليات لاشعورية \* في مواجهة التفسير الاقتصادي ، بل فقط امكان اعتباره قوى تتوسط ما بين الواقع الاجتماعي ونمط السلوك البشري . ولكن عندما يتتجاوز فروم ذلك ويزعم ، أن التحليل النفسي قادر على الادلاء بما هو جوهري من الرأي حول « خلفيات السلوك الاجتماعي » ، لأن المجتمع يتألف من أفراد متفردين ، فشلة عندئذ عدم دقة في التعبير تفتح الباب والشباك لسوء استخدام علم النفس ، وهو ما أراد فروم أن يمنعه .

وطالما أن « السلوك الاجتماعي » يفهم على أنه سلوك البشر في الحياة الاجتماعية ، فإن وضع السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي مقابل بعضهما لا معنى له ، لأنه لا وجود لسلوك آخر غير السلوك الاجتماعي . فحتى حلم اليقظة هو سلوك اجتماعي ، فهو مشروط بالواقع الاجتماعي ، كما أنه يتسم بصلات تخيلة مع المواضيع . ويتوارد علينا هنا من أجل خلق وضوح ، آمل أن تكون نهايتها ، أن توسع نقد فروم للسوسيولوجيا التحليلية النفسية الرسمية . فالحديث لا يدور هنا حول دقائق دقة ، بل حول أمور جسمية تماما . هناك وفرا من السلوك الاجتماعي للإنسان ، حيث

(\*) يقر النفسـor السـكـواـجيـ بـطـرـيقـةـ التـحلـيلـ النـفـسـيـ - المـترجمـ -

يلعب التوسط المذكور لأواليات الدافع اللاشعورية ، الذي يكون في ظواهر أخرى حاسماً، بالكاد دوراً في الفعل البشري . والمعتمد عليه ، أن سلوك المدحى الصغير عند أزمة مصرفية أو تمرد الفلاحين عند هبوط أسعار العجوب لا يمكن تفسيره بداعي ليبيدوسية أو باعتباره تمرداً على الآباء . ومن الهام أن نعلم ، أن علم النفس في مثل هذه الحالات يمكن أن يقدم افاده حول التأثير على السلوك فقط ، لا حول أسباب خلفيات السلوك . والمعتمد عليه ، أن الرأسمالية لا تفسر بالبنية الأنسانية للإنسان ، بل ان هذه البنية تجد تفسيرها في التنظيم الجنسي للمجتمع البطريكي . والمجتمع لا يتألف فقط من أفراد من البشر (والآلة كان كومة) ، إنما يتالف من كثرة من الأفراد الذين يتحددون في حياتهم وتفكيرهم بالذات من خلال العلاقات الانتاجية فيما بينهم التي تؤثر عليهم والتي هي مستقلة تماماً عن ارادتهم وكذلك عن دوافعهم . ولكن بشكل ، أن علاقات الانتاج تغير البنية الدوافعية يذاتها في النقاط الخامسة ، كما لدى إعادة انتاج النظام الاقتصادي اديولوجياً وبنيوياً ، التي سنعالها فيما بعد . واذن ، عندما نقول إننا نستطيع أن نشرح الخلفيات ، فإن المعتمد عليه هو أن نعي بدقة ، أية خلفيات . وهذا هو الجوهر في الأمر ، الذي نفترق فيه عن الاتجاهات المعاوقة في «السوسيولوجيا الاجتماعية» الشائعة ، وهو أننا نضع في الحسبان حدود وتبعد علم النفس ، وأننا نعلم باقتصار قدرتنا على توضيح المفاصل المتوسطة بين القاعدة والبناء الفوقي ، على توضيح «عملية الاستقلاب» ، التي تتم بين الطبيعة والإنسان ، في تبنّتها النفسي . وكوننا بهذه الطريقة نتوصل كذلك إلى توضيح التأثير الماكس للadiologya على القاعدة بوساطة علاقات الانتاج التي أصبحت بنية ، فإن هذا مكسب اضافي ذو أهمية حاسمة .

لماذا وضع التغوم هذا هام بهذا الشكل؟ . ذلك لأن العدود هنا تمر ما بين التطبيق المثالي والتطبيق المادي الجدل لعلم النفس على الصعيد الاجتماعي . والثمرات التي يعدها هذا التطبيق تستحق أشد التوضيحات عناء وعناء . ويمكن اجمال ذلك بأننا لا نستطيع الادلاء بشهادة حول خلفيات السلوك البشري الخارجة عن النفس، حول القوانين الاقتصادية التي تحكم العملية الاجتماعية، وحول القوانين الفيزيولوجية التي تسيطر على جهاز الدافع، دون أن نفقد صداقتنا مع الميتافيزيكا .

وفي نقطة أخرى تتعلق مباشرة بهذا التفريق ، يتعتمد علىـ أن أناقض فروم وأصدقاء آخرين في آرائي الأخرى . فروم يتبنى وجهة النظر بأن رفضي لتطبيق المنهج التحليلي النفسي على الظواهر الاجتماعية . مثل الاضراب وغيره ، خاطئ ، واعتبرت علىـ جهة ماركسية صديقة أخرى ، بأنه يمكن تطبيق المنهج التحليلي النفسي على الظواهر الاجتماعية ، لانه في أساسه مادي جدلي . وفروم نفسه يرى أنني « لحسن العظ » قد غيرت وجهة نظرني في مؤلفاتي السوسيولوجية التجريبية . - هذا ليس وارداـ فانا ما زلت كما كنت أتجنب تطبيق المنهج التحليلي النفسي على الواقع الاجتماعية ، وذلك للسبب التالي ، الذي يوسعني الان لأول مرة أن أصيغـ . صحيح ، أننا ندرس الظواهر الاجتماعية بمنهج المادية الجدلية . وصحيح . أن التحليل النفسي هو منهج مادي جدلي في البحث . اذن يتوجب ، كما سيرى المتنطق التجريدي ، ان يكون منهج التحليل النفسي « منطقيا » ممكناـ التطبيق علىـ الظواهر الاجتماعية ، دون التسبب في آية أضرار . ان اصدقائي يcumون هنا لاشوريا فريسة تفكير تجريدي منطقي مثالي . هم محقوـن ، تبعـا لقوانين الجدل . أهو تعـايل؟ لا ، بل أنها حقيقة جد بسيطة : ان منهج المادية الجدلية هو حقـا منهج واحد ، حيثما

طبقناه . أينما كان تصح مقوله وحدة الاصدادر ، انقلاب الكل الى نوع ... الخ . ومع ذلك فان الجدل المادي هو جدل مادي آخر في الكيمياء ، آخر في علم الاجتماع ، وهو كذلك جدل مادي آخر في علم النفس . ذلك لأن طريقة البحث ليست معلقة في الهواء . بل أنها تتعدد في جوهرها الخاص بالموضوع المعني الذي تطبق عليه . هنا بالذات تكتشف صحة مقوله الوحدة بين الفكر والواقع . لذلك ليس بوسع المرء أن يستبدل الحالة الخاصة للجدل المادي ممثلة في المنهج السوسيولوجي بالحالة الخاصة الأخرى للمنهج النفسي . ومن يتبنى وجهة النظر بأنه يمكن حل مسائل سوسيولوجية بطريقة التحليل النفسي حلا صحيحا ، فإنه يتبنى أيضا ، سواء أراد أم لم يرد ، وجهة النظر الأخرى وهي أنه بالامكان تفسير الرأسمالية بواسطة طرق التحليل الكيماوي . فالبراهين ستكون هي نفسها كما لدى الاعتراف بصلاحية طريقة التحليل النفسي للوقائع الاجتماعية . فلا شك أن المثلية الاجتماعية تعنى بالمواد كما بالبشر . وإذا أمكن للمرء أن يبحث نفسانيا دون قيد أو شرط ، فلماذا لا يمكنه أن يبحث أيضا كيميائيا ؟ من هذا المثال نرى الى أين تقود وجهة نظر فروم ، اذا ما تابعناها الى آخر الخط .

وفروم ليس محقا ، عندما يزعم أن المعلميين قد توصلوا الى نتائج خاطئة في الميدان السوسيولوجي ، لأنهم في علم الاجتماع انحرفوا عن المنهج التحليلي . لا . لقد طبقوا بكل التزام طريقة تأويل المحتويات النفسية ذات المعنى ، باعادة الظواهر النفسية الى اواليات دوافعية لاشعورية لدى الظواهر الاجتماعية ، مثل التنظيمات الرأسمالية أو نظام الزواج الاحادي . ولهذا بالذات أخطأوا الاصابة ، اذ ليس للمجتمع نفسية ، ليس له لاشعور ، ليس له دافع ، ولا أنا عليا ، كما أقر فرويد « بمقدم ارتياخ » . لقد نقلت الواقع الفعلي ، التي بها يتمثل أي تطبيق مخصوص للجدل

المادي ، الى عمليات مغايرة نوعيا . حيث لا تتوارد موضوعيا ، فما  
نجم عن ذلك غير السخف .

كذلك لا يصح ، كما يظن فروم ، أنه يمكن لموضوع بيته أن  
يدرس في آن واحد كيماويا وفiziائيا . فالفيزياء لا تستطيع أن  
تحدد التركيب الكيماوي لجسم معين ، والكيماء لا تستطيع أن  
تقيس سرعة السقوط لنفس الجسم . انهم يدرسان بطريقتين  
مختلفتين ، كل من هاتين الطريقتين مادي جدلي ، وظائف  
وخصائص مختلفة للموضوع ذاته . وهذا يصح تماما على علم  
الاجتماع . فتفسير الواقع الاجتماعية نفسها نفسانيا  
وسociولوجيا اقتصاديا ، هذا ما لا يمكن أن ينجزه سوى سحرة  
العلم من النوع المعروف . هذا تلقيق من أسوأ الاصناف . أما  
دراسة الدلالات المختلفة لنفس الظاهرة بالطرق المناسبة وفي ذلك  
ادراك التابعية والتبعية المتبادلتين لهذه الدلالات ، فهو تطبيق  
المادية الجدلية .

لذلك عندما يعبر فروم عن أن السيكلولوجيا الاجتماعية تدرس  
« الخلفيات الاجتماعية ودلالات المظهر النفسي » ، فان هذا غير  
صحيح . مثلا : الخلفية الاجتماعية ودالة الدين أو الاخلاق .  
الخ هما دالتان اجتماعيتان اقتصاديتان لصلة طبقية ، لعلاقة  
الانتاج عامل/رأسمالي . وهذه تتعدد بملكية وسائل الانتاج ،  
بفارق بين القيمة الاستعملية والقيمة التبادلية للسلعة قوة عمل ،  
اذن مقولات سosiولوجية . وعلاقة الانتاج هذه تُرسى ، نتيجة  
الاجرامات السلطوية الاقتصادية من قبل الطبقة السائدة ، في  
البني النفسية لاعضاء المجتمع ، وخاصة لاعضاء الطبقة المسودة ،  
حيث تغير هذه العلاقة بنائهم بمساعدة مؤسسات مخصوصة ، على  
نحو الاسرة ثم المدرسة والكنيسة وغير ذلك ، وتصنيفها بشكل تكوين  
منفصل بصورة نموذجية انفعاً مزمنا . من ثم نجد أمامنا ظاهرة

سيكولوجية اجتماعية ، على نحو علاقة الأب/الابن في ثنايتها . طاعة زائدا التمرد على السلطة ، وهي علاقة تقوم أوليا على الصلة الاقتصادية وثانويا على موقف ثئوري لاعقلاني . وتبعد لوجهة النظر التحليلية النفسية الرسمية ، فان هذه الصلة الشعورية تخلق علاقة الاب/الابن ، أي ظاهرة الصلة السلطانية على نحو ما هي بين الرأسمالي والعامل ، بينما في الواقع هذه الصلة السلطانية موجودة بعكم الصلة الطبقية قبل الصلة الشعورية .

ان البحث بالطريقة السوسيولوجية الاقتصادية يقود الى الكشف عن الصلة الطبقية . أما البحث بواسائر التحليل النفسي فيقود الى الكشف عن مشتق هذه الصلة ، أي لا يقود الى توضيح الدلالات الاجتماعية ، بل فقط الى ارستانها النفسي . واذا ما عكس المرء الامر ، وتناول هذه الصلة لمدة أفراد من طبقتين اثنتين كما لو أنهما هيئتان نفسيتان اثنتان في ذات الشخص الواحد ، فإنه يتحتم عليه عندئذ ، دون أن يكون في ذلك رجلا سيناً منذ ولادته ، أن يتوصل الى وجهة النظر ، التي عبر لي عنها مرة أحد كبار المعلمين ، وهي أن البورجوازية تمثل الأنماط العليا ، والبروليتاريا تمثل «هو» المضوية الاجتماعية . فالبورجوازية لا تؤدي سوى وظيفة الأنماط العليا بايقام الهو ضمن العظيرة . وأنا متتأكد أن لا فورغه انسان طيب القلب ، ومع ذلك فقد تتحتم عليه بالضرورة أن يستخلص النتيجة بأن الشرطة 'يفسّر وجودها بحاجة الجماهير الى المقاد ، ذلك لأنه درس الشرطة كمؤسسة اجتماعية سيكولوجيا ، ولم يدرس سيكولوجيتها ، كما درس سيكولوجيا تأثيرها على المسودين .

لقد طبقت في أعمال سوسيولوجية تجريبية مختلفة النتائج التحليلية النفسية في علم الاجتماع ، دون أن أوضح اذ ذاك بشكل

ان الاضراب هو ظاهرة سوسيولوجية في المرحلة الرأسمالية من التطور الاجتماعي . وسوسيولوجيا ماركس تدرس العمليات التي تقود الى الاضراب ، بأن تستخرج علاقة الانتاج بين العامل والرأسمالي ، تستخرج قانون الاقتصاد الرأسمالي ، الذي بموجبه تشتري سلعة قوة العمل من قبل مالك وسائل الانتاج وتستهلك مثل آية سلعة أخرى . كما تكشف سوسيولوجيا ماركس عن قوانين اقتصادية أخرى يقود بموجتها تنافس المستثمرين الى تقلص الاجر من أجل رفع معدل الربيع .. الخ. الا أن هذا الاضراب يتم بارادة ووعي العمال ، هذا يعني أن الواقعية السوسيولوجية ممثلة بشكل معين نفسانيا . اذن يتوجب أن يكون لدى علم النفس ما يقوله بهذا الصدد ، ولكن كيف ؟ على هذه الاجابة يتوقف ما سيقوله علم النفس . وانه لينظر بالبال فورا ، أن التحليل النفسي للأشعور أحد أو بعض العمال المضربين لن يقدم آية فائدة حول الاضراب كظاهرة اجتماعية أو حول «خلفياته » ، بل ولا حتى الشيء الكثير حول الدوافع التي حركت العمال للاشتراك بالاضراب . وحتى لو أثنا تقضينا ما يجمع بين هؤلاء العمال ، أي مارسنا سيكولوجيا اجتماعية ، فاثنا ان نقدم آية افاده حول مسألة ، لماذا هناك بالاصل اضرابات . هذا يعني أن السيكولوجيا الاجتماعية لا تفسر الاضراب . ذلك لأن الكشف عن النزاعات الطفولية للعمال مع آبائهم أو أمهاتهم لا علاقة له بالاضراب الراهن ، اثنا يتعلق فقط – وهذا ما يتوجب علينا أن نعيه بدقة – بالارضية الاقتصادية التاريخية المشتركة (البنية الرأسمالية أو بنية الاقتصاد الفردي للمجتمع) التي نجمت عنها الاضرابات والنزاعات المرروفة للأباء والآباء ، في آن واحد .  
واذا ما حاول المرء مع ذلك أن يسفر ما يجده لدى تحليل العامل

في تفسير ظاهرة «الاضراب» ، فإن المرض يصل إلى الاستنتاج، بأن الاضراب هو تمرد على الألب . فلا ينتبه المرض هنا إلى أنه قد وضع الاضراب مساوياً للموقف النفسي في الاضراب . بيد أن الفرق هنا حاسم . وهو يغيب عن المرض أما بسبب التموضع المنهجي أو لدوافع رجعية واعية أو غير واعية، ذلك لأن التأويل السوسيولوجي يفضي إلى نتائج مغايرة لنتائج التأويل النفسي، الأول يفضي إلى معرفة المجتمع الطبيعي ، والثاني إلى تمويهه .

ويمكن أن يكون الاضراب منسوجاً في النشاط السيكولوجي في لشعور الفرد ، بشكل علم مثلاً ، حيث يتم الاضراب كترسب نهاري لما ظهر في الحلم . ومن الملفت أن هذه حالة نادرة بالمقارنة مع وقائع أخرى متعددة عن المجال الجنسي . ولكن تفسير الاضراب من هذه الواقعة يؤدي إلى ذات الشيء الذي فعله باحث الحضارة الرسمي للتحليل النفسي ، روهايم ، وهو تقديم افادات حول العضارات البدائية من أحلام البدائيين ، بدلاً من تفسير المحتوى التزاعي للأحلام من العضارات البدائية . اذن فنحن نستوعب بعلم النفس سلوك العامل في الاضراب ، لا الاضراب ذاته . وإلى العد الذي يشارك فيه سلوك العامل بتقرير مآل الاضراب ، تكون مساهمة العوامل النفسية . غير أن الأمر مغاير إذا ما هدفنا إلى دراسة سوسيولوجية اجتماعية تبني استخلاص صلة اقتصادية تاريخية مباشرة ، إذ إننا نكون هنا قد شوشفنا مجرى العملية السوسيولوجية بعنصر ثالث . وهذا المنصر الثالث هو واقفة سيكولوجية (سيكولوجية اجتماعية أو سيكولوجية جماهيرية ) ، على شاكلة ضعف ثقة الشفيلة بمثيري الاضراب، أي بالقيادة العمالية ، أو الارتباط بقيادة نقابيين أصلاحيين مفتشلين للاضراب ، أو التهيب الخائف أمام رب العمل . في حالات أخرى يمكن أن يكون التخوف من الصعوبات المادية في حال الاضراب هو

العامل العاًسِم . ولكن حتى هذا السلوك ، الذي يؤثر بالطبع تأثيراً حاسماً على مجرى الصراع الطبقي ، لا يفسر بدوره بصورة مباشرة نفسانياً فحسب ، بل أيضاً بصورة غير مباشرة وحاصلة سوسيولوجياً . ذلك لأن الارتباط بالقادة النقابيين الاصلاحيين هو ذاته نتيجة لصلة سوسيولوجية في نهاية المطاف ، وهو في حالة أولى يمكن أن يكون السبب السطحي للخوف من التسرع ، وفي حالة أخرى السبب الأعمق للخوف من عصيـان السلطة الذي يتعدد عن الارتباط الطفولي بالأب . ولكن ، من أين يتعدد الارتباط بالاب والخوف من السلطة ؟ . يتعدد بالطبع من العـالة الأسرـوية التي تعود إلى أسباب سوسيولوجـية اقتصـادية . اذن فـلدـى استـخدام التـحلـيل النفـسي يـدور الـامر دـومـاً حول اـدراكـ المـفاـصلـ الكـثـيرـةـ إـلـىـ هـذـهـ المـعـلـيـةـ . وكلـماـ كانـ السـلـوكـ أـكـثـرـ عـقـلـانـيـةـ ، كانـ مـيدـانـ عملـ التـحلـيلـ النفـسيـ لـلاـشـعـورـ أـكـثـرـ ضـيـقاـ . وكلـماـ كانـ أـكـثـرـ لـاعـقـلـانـيـةـ ، كانـ مـيدـانـ أوـسـعـ ، وـازـدـادـ اـحـتـيـاجـ عـلـمـ الـاجـتـمـاعـ لـمسـاعـدـةـ عـلـمـ النـفـسـ . وهذا يـصـحـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ عـلـىـ سـلـوكـ الـطـبـقـاتـ المـقـوـمـةـ فيـ الـصـرـاعـ الطـبـقـيـ . وـكـونـ العـاـمـلـ الصـنـاعـيـ أوـ فـئـةـ منـ الـمـمـالـ الصـنـاعـيـنـ يـطـمـحـونـ لـسـاـواـةـ شـكـلـ التـمـلـكـ بشـكـلـ الـانتـاجـ ، لاـ يـعـتـاجـ إـلـىـ شـيـءـ آـخـرـ غـيرـ الـمـلـاحـظـةـ الـاضـافـيـةـ ، بـأنـ العـمـالـ يـتـبعـونـ فـيـ ذـلـكـ القـوـانـينـ البـسيـطـةـ لمـبدأـ اللـذـةـ /ـ الـلـاذـةـ .

على أن قبول الطبقة المضطهدة في شرائح واسعة منها باستغلالها بهذا الشكل أو ذاك وحتى دعمها لهذا الاستغلال ، لا يمكن فهمه بصورة مباشرة إلا سـيـكـولـوجـياـ ، ولا يـفـهـمـ سـوـسيـولـوجـياـ إلاـ بـصـورـةـ غيرـ مـباـشـرةـ . وـكـونـ السـوـسيـولـوجـياـ التـحلـيلـيةـ حتـىـ الانـ تـمـارـسـ العـكـسـ ، فـتـحـاـوـلـ تـفـسـيرـ التـمـرـدـ سـيـكـولـوجـياـ وـبـالـقـابـلـ تـسـلـمـ بـانـجـازـ الـاتـبـاعـ عـلـىـ أـنـ مـعـطـيـةـ لـاـ تـعـتـاجـ إـلـىـ تـفـسـيرـ ، فـهـذـاـ يـعـودـ إـلـىـ فـهـمـهاـ

لبدأ الواقع ، هذا النهم الذي ينبع عن مبدأ اللذة لدى الراشدين التكيف مع مطالب الواقع . غير أن الواقع لا ينتمي إليه قانون الاستغلال الرأسمالي فحسب ، بل أيضاً الوعي الذاتي لذلك ، بأنه وعي الآلام ، ولذلك يستمر وراءه عدم التكيف . أما وجهة النظر الرسمية فتفسر عدم التكيف بأنه سلوك طفولي لاعقلاني . هنا تقف نظرة إلى العالم مقابل نظرة إلى الماء . بالتأكيد ، نحن لا ننكر مثل خصومنا موقفنا السياسي . لكننا ندرك الفرق بين الموقفين السياسيين ، فهو يقوم على أن : أحد الموقفين يتأول نفسانياً كاستعداد فطري في الإنسان ما كان يجب أن يفسره سوسيولوجيا اقتصادياً ويغفل عن هذا الشيء الذي كان عليه أن يفسره ، وهو اعاقبة جرى العملية النفسية ، ويعرف بذلك ، في كلا الحالتين ، النظر عن الواقع . أما الموقف الآخر فلا يعني أي شيء ، لا يعني أي شيء فقط عن ميدان القدرة المرففة لدى الإنسان ، بل إن له مصلحة معاكسة تماماً ، وهي أن يدفع بكل شيء إلى مضمار العلم ، من أجل أن يتوصل عبر التطبيق المبدئي لنهاية المادية الجدلية على جميع الأصعدة إلى نظرة علمية إلى العالم وليجعل بذلك من الفلسفة ، بقدرة ما تكون هذه هي علم المجهول ، شيئاً لا حاجة لنا به .

بالإجمال نخلص إلى أن التطبيق الوعي واللاوعي للمادية الجدلية على صعيد السيكولوجيا يمدنا بنتائج التحليل النفسي السرييري ، وان تطبيق هذه النتائج في السوسيولوجيا والسياسة يفضي إلى سوسيولوجيا اجتماعية ماركسية ، بينما يتوجب زوال تطبيق منهاج التحليل النفسي على مشكلات السوسيولوجيا والسياسة في سوسيولوجيا ميتافيزيكية منفستة ( أي مسلكية – المترجم ) وفوق ذلك رجعية .

**دار الحكمة**

**للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.**  
**لبنان - بيروت ص.ب ١٤/٥٦٣٦**

دار الحكمة

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.  
لبنان - بيروت ص.ب. ١٤/٥٦٣٦

السعر ٦ ل.ل.